١٠٦٠
1060
كبير
HARLEQUIN
دار م. النحاس

زهرة الربيع

ناتالي فوكس

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

زهرة الربيع

ناتالي فوكس

ما اسهل القول قبل الفعل.

لم ترفض فران طلب شقيقتها لايصال اسطوانات الكومبيوتر وتسليمها لمديرها في فرنسا. لكن الذي لم تتوقعه ولم يكن في الحسبان، هو ان تاخذ مكان شقيقتها هيلينا وتصبح المساعدة الخاصة له.

ومع ان فران رفضت طلبه، ولكن جوردان باري اصر على موقفه ولم يعتبر رفضها جواباً نهائياً.

كان رجلاً صعباً وكثير الطلبات، ولكنه جذاب جداً، ففهمت فران سبب ميول شقيقتها إليه.. اضافة إلى العمل معه وبرفقته، فقد تمكنت من أن تتجول في اكثر مدن العالم سحراً وجمالاً.

قال لها ببطء: «انك تشعرينني بالحياة.»

«هل جعلتك تشعر بهذا، لأنني صرخت في وجهك وأجبتك على خطابك بالمثل؟»

أجابها متمتما: «ربما كذلك.»

«انك غير معتاد على مثل هذه الأمور، اليس كذلك؟ لأنك تريد الاحترام والخنوع لك من الآخرين.»

«انني لا اطلب منهم ذلك، انما مركزي يجبرهم على ذلك.»

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة: «ايفترض علي أن آسف لأجلك؟» انه لم يكن يستعطي الشفقة، ولكن اموراً اخرى استطاعت ان تقرأها في عينيه.

نتالي فوكس

ولدت نتالي فوكس ونالت تعليمها في لندن. كانت تزاول اعمالاً مختلفة، حتى انها كانت تركب الدراجة النارية في وست اند لايصال السندويتشات من المطعم الذي تعمل فيه إلى البيوت والشركات. ولكنها لم تبدأ بالتاليف والكتابة الا بعد أن تجاوزت الاربعين من عمرها. وتقول نتالي انها تشعر دائماً بالرومانسية تملأ قلبها. وهي الآن تعيش مع زوجها في اسبانيا.

عبير ١٠٦٠

Abir 1060

زهرة الربيع

نتالي فوكس

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

وقف جوردان باري إلى النافذة التي تطل على مدينة باريس، وهو متوتر الأعصاب قلق، دون أن يستمتع بروعة ورونق الغسق الذي صبغ السماء بلون ارجواني بديع. كانت أفكاره متجهة إلى المؤتمر الطبي الذي سيبدأ صباح يوم الغد، بينما كان مساعده الأيمن سيلاس ماتيوس يراقب تحركاته وهو لا يدري كيف يتمكن من مساعدته.

نظر جوردان في ساعة يده وقطّب حاجبيه، ثم أخذ يروح ويجيء في الغرفة، وكأنه نمر مفترس مسجون في قفص.

قام سيلاس عند ذلك ومشى في الجناح الفخم من ذلك الفندق إلى طاولة ليسكب كوبين من الشراب المنعش لكليهما.

«اهدأ، يا جوردان وتفضل إشرب هذا الشراب.» وقدم له إحدى الكوبين.

استدار جوردان نحو مساعده المسن والبدين، وتناول الكوب منه بعصبية ظاهرة. بدت عيناه الرماديتان تومضان بغضب وترقب، ثم جرع كمية كبيرة من كوبه وأخذ يحدق بعد ذلك في قعره قائلاً: «إذا لم تصل نتائج تلك الفحوصات المخبرية هذه الليلة، فستكون أعمال الثلاث سنوات المنصرمة والمتواصلة، دون نتيجة، سوى مضيعة للوقت. فأنا لا أستطيع أن أدير المؤتمر قبل استلام تلك النتائج والمحاضرة فيها غداً.»

ان هذه التركيبة الجديدة للدواء الهرموني والتي عمل جوردان عليها بتجارب لفترة طويلة، ستكون بمثابة صفقة كبيرة له. كما وان شركة باري للأدوية، شركة عظيمة، ولكنه أراد من التركيبة الجديدة لذلك الدواء، أن يجعلها أعظم وأرفع شأناً. لم يقم بذلك بدافع غرور العظمة، انما من أجل محبته واحترامه ووفائه لذكرى والده الذي أسس شركة باري للأدوية مع جهود واخلاص موظفيه.

والذي أخّر وصول تلك النتائج المخبرية، عطل أصاب جهاز كومبيوتر شركة باري للأدوية وفقدان العديد من الأوراق المهمة، وعمل فريق الشركة طوال الليل بشكل دؤوب ومتواصل على إعادة تأمين تلك النتائج وارسالها إلى باريس من أجل المؤتمر.

لكنها لم تصل في موعدها المحدد، وهذا ما أقلق جوردان وجعله متوتراً ضيق الصدر. فأخذ سيلاس يراقبه باهتمام وعطف، انه يحترمه ويقدره تماماً كما كان يقدر والده روبرت باري من قبله، والذي كان طبيباً، بينما ابنه جوردان رجل أعمال، وقد تولى أعمال شركة باري للأدوية من بعد والده وأوصلها إلى أعلى المستويات. لذا، فهذا الدواء الجديد سيحقق له نصراً كبيراً وعظيماً.

وبحركة عصبية، أخذ جوردان يمرّر بأصابع يده على شعره الداكن والكثيف، ثم وضع نظارتيه الطبية على عينيه وحمل بعض الأوراق قائلاً بحنق: «لنراجع هذه الحسابات يا سيلاس... واعتقد ان تلك النتائج المخبرية ستصلنا. من المؤكد ستصلنا.»

«من فضلك، اسمي فرانسين كاين، و...»

«آه، آنسة كاين.» قاطعها بوّاب فندق كليرمونت باشراق: «لقد تأخرت، فالسيد باري على نار، وهو يريد رؤيتك.» وقدّم لها دفتر التسجيل لتدوّن عليه اسمها.

ضحكت وقالت: «لا، انني فرانسين. فشقيقتي لم تتمكن...» وقاطعها جماعة من الألمان وهم يحاولون أن يحجزوا غرفاً لهم في نفس الوقت، ثم أسرعت لتدوّن اسمها في دفتر السجلات، لأنه لم يكن من فائدة لأن تشرح لعامل الاستعلامات أنها ليست هيلينا كاين السكرتيرة الخاصة لجوردان باري، بل شقيقتها فرانسين. من المؤكد ان هذا العامل لا يهمه أمر هيلينا، ولكن جوردان سيهمه أمرها كثيراً. وأسرعت فرانسين وأخذت مفتاح الغرفة لتشق طريقها بين جماعة الألمان.

قضت في ردهة الفندق وهي تبحث بعينيها الخضراوين عن مكان المصعد، وتعرفت بهذا على ضخامة الفندق وعلى الحياة الفخمة التي تعيشها شقيقتها الأكبر سناً، كلما سافرت مع ربّ عملها جوردان باري إلى روما وجنيف ومدريد.

كانت فران، كما تحب أن تنادي، تحسد شقيقتها على عملها هذا وعلى فخامة الفنادق التي تنزل فيها والتي قد تتطلب منها مرتباً اسبوعياً كاملاً من صالة عرض المفروشات التي تعمل فيها، مضافاً إليه ما تكسبه من العمل الاضافي الذي تقوم به ليلاً في المطعم، لتمضي ليلة واحدة في فندق فخم على هذا الطراز.

وجدت أخيراً مكان المصعد فتوجهت إليه ثم دخلته وتصاعد منه صوت الموسيقى الهادئة. تذكرت وهي تصعد

إلى الطابق الثالث، أنها نسيت أن تسأل عامل الاستعلامات عن رقم الغرفة التي ينزل فيها السيد باري. لكنها قررت الاتصال به حالما تدخل غرفتها، أي الغرفة التي حجزت لشقيقتها.

تذكرت فران الحادث الذي ألمّ بشقيقتها هذا الصباح بعد ان خرجت من شركة باري للأدوية حيث كانت تعمل طوال الليل على انهاء تلك النتائج المخبرية التي طلبها منها جوردان، ولشدة تعبها لم تنتبه لراكب الدراجة النارية الذي اصطدم بها. لم تكن اصابتها خطرة، انما أشار عليها الأطباء في المستشفى أن تخضع للمراقبة، واتصلوا بفران التي أسرعت إليها قلقة ومضطربة لتسمع منها بانه يجب أن توصل تلك النتائج المخبرية إلى باريس قبل عقد المؤتمر الطبي في صباح اليوم التالي.

ومما قالته هيلينا بتوسل وهي دامعة العين مستلقية على فراش المستشفى: «يجب أن تقومي بذلك من أجلي. ان جوردان يحتاج إلى نتائج تلك الفحوصات الطبية، التي أصبحت جاهزة الآن بعد عمل ثلاث سنوات متواصلة، والتي ستكون موضوع بحث ذلك المؤتمر الطبي الذي سيحاضر به صباح يوم غد... كان من المفترض أن أكون معه ولكن...»

توقفت عن الكلام عندها بحزن شديد ولم تتابعه إلا بعد لحظات، بينما كانت فران تصغي باهتمام وقلق، وتابعت هيلينا تقول: «آه، فران، لقد كان الخطأ صادر مني عندما فقدت بعض تلك الأوراق في الكومبيوتر، وقد عمل فريق عمل الشركة بنشاط واخلاص طوال الليل ليستعيدوا ما فقد، والآن اصبت بهذا الحادث... أرجوك، فأنا لا أريد أن أقصّر

بواجبي معه للمرة الثانية. يجب أن توصلي هذه الأوراق إلى باريس لأنها في غاية الأهمية، كما انك أنت الانسانة الوحيدة التي أثق بها من أجل هذه المهمة.»

لم تتردّد فران في تنفيذ طلب شقيقتها وأرادت أن تطرح عليها عدة أسئلة بأمر هذه المهمة التي كلفتها بها، لكنها عدلت عن ذلك لما رأته من شحوب على وجهها ومن الارهاق الجسدي الذي تملكها. ثم أسرعت فران إلى منزلها وحزمت حقيبة السفر، وأجرت ثلاثة اتصالات هاتفية الأول والثاني إلى مركزي عملها لتبلغهما اضطرارها المفاجيء للتغيب لبضعة أيام، والاتصال الثالث لأجل حجز تذكرة سفر إلى باريس كي توصل لجوردان باري تلك الحقيبة الصغيرة التي تحتوي على الأوراق الطبية الهامة للمؤتمر.

فكرت فران بينما كانت تسير في ردهة الطابق الثالث تبحث عن غرفتها، بأنها سترى أخيراً ذلك الرجل الذي استطاع أن يستولي على قلب شقيقتها. فهي تعرفها جيداً وتعرف مشاعرها وأحاسيسها الباردة، ولا بدّ ان يكون جوردان رجلاً مميزاً وفريداً حتى تمكن من الاستيلاء على قلبها.

كانت غرفتها، أي الغرفة التي كانت ستنزل فيها شقيقتها هيلينا، مؤثثة على طراز لويس الرابع عشر وستائرها بلون زهري تنسجم مع السجاد الفاخر المفروش فوق أرض الغرفة.

عادت فران بذاكرتها إلى شقيقتها التي كانت ملامح وجهها الجميل تتغير كلما جاء الحديث عن مديرها جوردان باري. وها هي فران تعدّ الدقائق التي تفصلها عن اللقاء به والتعرف إليه.

وضعت فران حقيبتها وحقيبة جوردان جانباً، وأسرعت إلى النافذة وأزاحت الستائر عنها لتلقي بنظرها على المدينة الباريسية وقد اظلمت الدنيا في هذا الوقت وانهمر المطر بغزارة شديدة. كان الشارع يتلألأ بأنوار المدينة وبأنوار المطاعم والمحلات، بينما كان الناس يسيرون على الرصيف ومظلاتهم فوق رؤوسهم غير مكترثين بالجو الممطر.

انها الزيارة الثانية لها لباريس، وقد جاءتها في المرة الأولى عندما كانت تلميذة في رحلة مدرسية، لذا ذكرياتها عن المدينة كانت ضعيفة بعض الشيء، خاصة حول برج ايفل الذي أدهشها فخامة بنائه. وتذكرت كيف ان زميلها في الدراسة ضلّ طريقه وكيف تمنى زملاؤه ألاّ يعود أبداً لأنه كان فتى مزعجاً لا يطاق! وها وهي اليوم قد عادت إلى باريس فتاة ناضجة وفنانة يمكنها أن تتذوق وتحسّ بروعتها وجمالها أكثر.

لا شعورياً، تناولت فران من حقيبتها دفتر الرسم وعادت إلى النافذة لترسم الخطوط الأولية لهذا الشارع الرائع بأحاسيس مشدودة إليه، وقد نسيت في هذه الجلسة الهدف الرئيسي لوجودها في هذا المكان...

ارتفع رنين الهاتف من مكان ما في الغرفة، ولكنها لم تشعر برنينه في البداية. لقد كانت تفكر بينما كانت ترسم خطوط ذلك الشارع، كيف انها فوّتت عليها السنتين الأخيرتين في دراسة فنّ الرسم وذلك بسبب مرض والدها الشديد، الذي دام طويلاً حتى وافته المنية. وقد فوّتت عليها أيضاً المهنة والتخصص اللذين كانت تحلم بهما، ثم اشتغلت

في كاليري لبيع لوحات رسم لأشخاص آخرين بعد ان انتقلت إلى لندن لتعيش مع شقيقتها هيلينا.

طال رنين الهاتف ليوقظ فران من أحلامها، فالتفتت إلى مصدر الصوت متسائلة من قد يكون المتصل بها، وخاصة انه ما من أحد يعرف بوجودها هنا سوى شقيقتها هيلينا التي لا تزال طريحة الفراش في المستشفى.

أسرعت إلى الهاتف ورفعت السماعة لتسمع صوتاً يقول لها: «هيلينا! ما الذي تفعلينه هنا؟ لقد أبلغني عامل الاستعلامات انك وصلت منذ ساعة تقريباً، فكم يلزمك من الوقت لتفرغي حقيبتك وتعلقي ملابسك؟» ولم يمنحها صاحب الصوت فرصة للاجابة بل تابع يهدر قائلاً: «تعالي إلى جناحي وفي هذه اللحظة!»

أخذت فران تحدق بسماعة الهاتف بعد ان اقفل الخطّ ثم نظرت إلى ساعة يدها، وقالت في نفسها لا بدّ ان يكون ذلك جوردان باري. وله عذره في أن يتكلم معها بهذه اللهجة، فقد مضى على وصولها ساعة، وستثور ثائرة هيلينا لو علمت بأنها جعلته ينتظر طوال هذا الوقت.

اتصلت بعامل الاستعلامات وعرفت رقم جناح جوردان باري الذي لم يكن في نفس الطابق، ثم حملت الحقيبة التي تخصّه وتوجهت نحو باب الغرفة وهي تدوس على أقلام التلوين التي سقطت منها عندما أسرعت إلى الهاتف دون وعي.

تأوهت فران بيأس قائلة: «آه، لا! هذا بسببه.» وحاولت أن تمسح ما علق على السجادة من ألوان، ولكنها جعلت من الأمر أسوأ مما كان عليه. عند ذلك سحبت كرسياً ووضعته

فوق المكان المتسخ وهي تأمل أن لا تلاحظ عاملة التنظيف ذلك. وبعد لحظات، كانت تسير في ردهة الفندق وهي تمسك بالحقيبة الثمينة بحذر وكأنها تخاف أن يسرقها منها أحد ما.

عندما وصلت إلى باب الجناح، قالت في نفسها انها تتصرف بغباء، فليس من سبب يدعوها إلى هذا الخوف الذي لا مبرّر له، وكأنها ما زالت تلميذة على مقاعد الدراسة وقد تأخرت في الوصول إلى صفّها. ومن يدري فقد يصبح ذلك الرجل الذي ستراه الآن لأول مرة، زوجاً لشقيقتها.

طرقت على الباب بخفة وأخذت تتخيل صورة الرجل الذي ستلتقي به الآن بينما كانت تنتظر الردّ على طرقها. وبما ان شقيقتها قد ناهزت السادسة والثلاثين وتكبرها بأربعة عشر عاماً، لذا قد يكون جوردان أكبر من هيلينا بستة أعوام أي في الثانية والأربعين، وتذكرت ان شقيقتها أخبرتها بأنه رئيس مجلس إدارة شركة الأدوية، فرأته بعين الخيال قصيراً كأنه ضابط عسكري متشدّد الأوامر!

عادت تطرق على الباب ولكن بقوة هذه المرة، وتساءلت هل هو أصمّ يا ترى؟ وحاولت أن تعالج مسكة الباب، ففتح معها، دخلت وانصتت لتسمع أي شيء يدلّ على الحياة في هذا الجناح، فسمعت صوت تساقط المياه ولم تدرِ من أين مصدرها.

إنها تقف الآن في ردهة تحتوي على عدة أبواب مقفلة، وترددت من أي باب تدخل فهي لا تريد أن تجد نفسها في غرفته. لكنها وفي حالة التردّد هذه، لمحت صورتها المعاكسة في المرآة المعلقة على الحائط وهالها ما رأته،

فقد كان شعرها مربوطاً دون ترتيب واتسخ سروالها الجينز وسترتها الزهرية اللون وحتى وجهها ويداها، أيضاً!

وضعت الحقيبة على الأرض بسرعة، ومالت نحو المرآة وأخذت تزيل ما علق على وجهها من ألوان بأصابع يدها، ثم لاحظت ان المرآة تعكس صورة لرجل متأنق، فاستدارت تقهقه ضاحكة في وجه الرجل الوسيم، الذي كان يسند جسده إلى حاجب الباب يتأملها وقد وضع نظارته الطبية على عينيه، واعتقدت انه لا بد ان يكون أحد موظفي جوردان باري.

قالت بعد ذلك ضاحكة: «اعذرني، انني فقط أرتّب نفسي لمقابلة السيد باري، ولقد طرقت الباب ولكنني لم أحصل على جواب. فهل هو موجود؟»

وعادت تقف أمام المرآة لتزيل ما تبقى من الألوان عن ذقنها وصدغيها، وبعد ما انتهت من كل ذلك تناولت الحقيبة عن الأرض ونظرت نظرة أخيرة إلى نفسها في المرآة. وعندما لم تحصل على جواب من ذلك الرجل، أدركت من قد يكون.

استدارت مرة أخرى لتصطدم نظراتها بعينيه الواسعتين المحدّقتين فيها وسألته بارتباك شديد: «هل أنتَ السيد باري؟»

لكنه لم يجب هذه المرة أيضاً، ونزع نظارته الطبية بهدوء عن عينيه الرماديتين اللتين بدتا مشككتين.

أحست فران بأنفاسها تتسارع، فهو لم يكن كما صوّره لها عقلها. ليس قصيراً وأصلع أو كبير السن، بل طويل القامة، ويبدو أنه في الثلاثينات، لكنها لم تتأكد من ذلك،

فخطوط الشيب التي ظهرت بين خصلات شعره الأسود اربكتها وشوّهت عليها الأمر.

قرأت فران في عينيه الشك وفي ملامح وجهه البرودة، وانتقلت بأفكارها إلى شقيقتها الباردة أيضاً كالثلج، وتساءلت كيف يمكن أن تحصل بين هذين الاثنين صداقة.

قالت بعد ذلك: «أنا فرانسين كاين، ويمكنك أن تناديني بفران للاختصار... وشقيقة هيلينا.»

تفوّهت بالكلمات بطريقة عفوية، ولكنه لم يبدّل من ملامحه الباردة. واعتقدت انها اخطأت بتصورها وانه ليس جوردان باري بل ربما أحد معاونيه، ولكن لا، فهذا الرجل لا يدلّ مظهره بأنه معاون أو موظف، وبالأخص في الطريقة التي كان ينظر فيها إليها وكأنها لا تعني له بشيء.

وحاولت مرة أخرى أن تقول له: «حسناً، انني فران شقيقة هيلينا كاين، سكرتيرتك الخاصة.»

ولكنه أيضاً لم يعلّق بكلمة واحدة على كلامها، وأعاد نظارته الطبية إلى عينيه بينما كانت فران تراقبه باهتمام وفضول. ورأته يفتح أحد الأبواب ثم دخل إلى غرفة للاستعلامات في هذا الجناح، ثم توجّه إلى النافذة ورفع سماعة الهاتف من على طاولة المكتب.

لحقت به فران إلى داخل الغرفة وسمعته يوجه أوامره بعدم ازعاجه. وعندما أعاد السماعة إلى مكانها، استدار بسرعة إلى فران التي بدت وكأنها تسمّرت في مكانها. شعرت بخوف لا معنى له مع انها لم تتمكن من رؤية عينيه من وراء تلك النظارة القاتمة قليلاً، ولكنها شعرت بنظراته غير الواثقة والمشككة بها.

عادت تقول الآن موضحة الأمر له أكثر: «لقد وقع لهيلينا حادث، وهذا سبب وجودي هنا بدلاً عنها، وهي الآن طريحة الفراش في المستشفى... ولكن اصابتها ليست خطيرة، وأتوقع انها ستتصل بك لاحقاً. فعندما تركتها هذا الصباح كانت تعاني من آلام مما جعلها لا تقوى على الاتصال بك...» وتلاشت الابتسامة عن شفتي فران وقد لاحظت انه لا أمل في اقناعه، ثم تابعت قائلة: «أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟»

أجابها بصوت صاف وهادىء: «بصراحة، أنا لا أصدقك مطلقاً يا عزيزتي.»

نظرت إليه غير مصدقة فقد جعلها تبدو وكأنها طفلة في السابعة من عمرها، ولم تتوقع أمراً كهذا من ربّ عمل شقيقتها هيلينا. على أية حال، لِمَ هذا الشعور بالخوف منه؟ فهي لا يربطها شيء به، لا من بعيد ولا من قريب. فأخذت نفساً عميقاً وقالت بلطف: «وبصراحة أيضاً يا سيد باري، لا يهمني ان صدقتني أو لا، واعتقد انه من اللياقة والذوق ان تصغي لما سأقوله لك، ان شقيقتي متمددة على فراش في المستشفى وهي في غاية القلق بشأنك، فتوقف عن النظر إلي بهذه الطريقة وكأنني فأرة دفعت بي الهرة لألتجيء إلى هذه الغرفة!»

نزع نظارته الطبية عن عينيه ونظر اليها نظرة انتقامية بعينيه الرماديتين ثم قال هازئاً: «لقد وصفت نفسك بطريقة ملائمة جداً... على أية حال، ما الذي تتوقعينه مني بعد تسللك إلى جناحي وأنتِ شقيقة لسكرتيرتي الخاصة؟» وتوقف ليبتسم قليلاً ثم تابع بصوت أجش: «عليك أن تأتي

بقصة أصدق من هذه إذا كنت ترغبين بأن تحظي بانتباهي. وأمامك عشر ثوانٍ لتقومي بذلك، وإلا فلن تكوني مسرورة من خطوتي التالية.»

بعد ان انهى كلامه، رفع كمّ قميصه ثم نظر إلى ساعة معصمه الذهبية، بينما كانت فران تراقبه بدهشة وعجب عندما بدأ يعدّ الثواني بطريقة عكسية!

«ثلاثة، اثنان، واحد، صفر.» ولما انتهى من ذلك وضع نظارته الطبية على عينيه دون أن يعيرها أي اهتمام، ورفع سماعة الهاتف واتصل بجهاز أمن الفندق.

كانت فران في تلك الأثناء تقف مذهولة صامتة كمن يحط على رأسها الطير، ثم تملكها غضب شديد فأسرعت إليه وأخذت السماعة من يده لتقول لمن على الطرف الآخر من الخط وبلهجة فرنسية ركيكة، بأن هناك سوء تفاهم، واعتذرت بسرعة ثم وضعت السماعة في مكانها بعنف.

وعندما نظرت إليه وجدته ينظر إليها بعصبية ويحاول جهده كي يكبح جماح ثورته وغضبه.

ثم قالت وعيناها الخضراوان تشتعلان غضباً: «هل أنت مجنون؟ خذ هذه حقيبتك التي جئت من أجلها.» ودفعت بها على الطاولة بعنف لدرجة أن قفلها انفتح ووقعت منها تلك الأوراق الهامة وتناثرت على الأرض بطريقة غير منتظمة.

بدا وجه جوردان باري الآن شاحباً وهو ينظر إلى تلك الأوراق الهامة لديه مرمية باهمال وقد حوت جداول وأرقام وخلاصة جهود مضنية لسنوات طوال.

أخذ قلب فران يخفق بشدة وقد هالها ما قرأته من تأثيرات على معالم وجهه وقالت بارتباك: «انني آسفة.» ثم

انحنت لتلتقط الأوراق بحركة لا شعورية، بينما انحنى هو أيضاً في تلك اللحظة واحتك رأسه برأسها مما أدى بنظارته الطبية لتسقط أسفل أرنبة أنفه. وقف عند ذلك بسرعة وخلع عنه النظارة ليضعها على الطاولة وقد تملكه سخط وانزعاج.

شعرت فران وهي تحاول الوقوف بضعف في ساقيها وكرّرت قائلة: «انني جد آسفة.» وعضّت على شفتها لتمنع نفسها من الضحك الذي بات يسيطر عليها. وتفادياً لذلك حملت الحقيبة بيد وحاولت ان تجمع بيدها الأخرى تلك الأوراق لتعيدها إليها.

«اتركيها!» قالها بصوت عالٍ استرعى انتباه فران، التي فكرت بأنه ليس بالرجل الطبيعي، بل انه رجل له مزاجه وطبعه الخاصان به.

«انني فعلاً آسفة جداً...»

«توقفي عن الاعتذار من فضلك!»

ثم سحب من يدها الحقيبة بعنف ولملم الأوراق عن الأرض ورتبها كما كانت عليه، ثم تأكد من عدد الاسطوانات التي كانت في داخلها، بينما كانت فران تراقب حركاته طوال الوقت. وعندما انتهى من عمله هذا وضع الحقيبة في درج المكتب واقفل عليها بالمفتاح ثم اخفاه في جيب معطفه. وبعد ان اطمأن عليه توجه نحو الثلاجة ليسكب لنفسه شراباً منعشاً وشربه دفعة واحدة وكأنما كان بحاجة ماسة إليه ليهدىء به أعصابه.

تململت فران في وقفتها تلك وهي تشعر بعدم الارتياح لما شاهدته ورأته. ان تلك الأوراق لهي في غاية الأهمية

فعلاً كما أكّدت لها شقيقتها وكما لمسته أيضاً من الاهتمام البالغ بها من جوردان باري، إذاً فانها قد قامت بعمل عظيم يفتخر به عندما أوصلت تلك الحقيبة سليمة إليه.

سألها بعد ذلك بجرأة: «كيف وصلت هذه الحقيبة إليك؟»

رمته بنظرة حادة وقالت وهي تقرأ ما يجول في عينيه: «لقد سبق وشرحت لك ذلك! فإن كنت لا تود ان تصدقني، فهذه مشكلتك وليست مشكلتي! واعلم انني لم أسرقها، إذا كان هذا ما تفكر به. فمن الصعب عليّ ان اسرق شقيقتي وأسافر إلى هذا المكان لأعطيك ما هو لك، والآن لقد تحققت بنفسك بأن كل ما كنت تريده موجود في الحقيبة وان عدد الاسطوانات خمسة وغير ناقصة.»

دار عند ذلك حول الطاولة ببطء ليقف إلى جانبها مما جعلها تشعر بعدم ارتياح لاقترابه منها، وكان وجهه متوتراً وغاضباً بينما عيناه تنظران في وجهها بحدة، ثم لتغوصان في أعماق عينيها.

«على أية حال، فأنا لا أعلم ما في تلك الاسطوانات بعد، أليس كذلك؟ ربما تكون بعضاً من تلك الألعاب المسلية للأطفال!»

فكرت فران قبل ان تردّ على تلميحه، بأنه كان بالامكان لهذا الرجل ان تكون روحه مرحة لولا شكوكه بها، فأجابته بعد ذلك وقد ملّت من اتهاماته المجنونة بها: «هل تتهمني بأنني أحاول مقايضتك بهذه الاسطوانات؟»

بدت على ملامح وجهه الازدراء والانفة، وكأنها شخص حقير غير جدير بالاحترام، فهزّ رأسه بشك ظاهر ثم قال: «لا. فأنت ما زلت صغيرة وغبية حتى تتورطي

في أمور التجسس هذه، ولا بدّ ان أحدهم قد دفعك إلى...»

قاطعته فران بحدة قائلة: «أمور التجسس! أتعلم، انك حتماً مجنون لو سألتني رأيي بك. ولم يدفعني أحد لأي شيء، فلو كان هذا صحيحاً، لما وجدتني أمامك هنا أحاول أن أقاوم اتهاماتك لي، أليس كذلك؟»

لمع بريق غير مؤكد في عينيه ثم قست نظراته وقال متابعاً اتهاماته لها: «معك حق في ذلك، انما لدي شك بأنك قد تكونين أدهى مما تبدين عليه، أيتها الآنسة مهما كانت هويتك...»

اضطربت فران من تصريحه هذا وتراجعت خطوة إلى الوراء وصدرها يعلو ويهبط من الغضب.

هدر عند ذلك قائلاً: «لا تتحركي من مكانك عندما أكلمك. قد تعتقدين انه بقدومك إلى هذا المكان وتسليط نظرات عينيك الساحرتين علي، قد تجعلينني أضحي بمعلومات أخرى أكثر أهمية لك.»

لم تخطىء فران ما كان يعنيه في كلامه، فتنهدت باعياء وقد تأكد لها ان جوردان باري كثير الشكوك والارتياب من الآخرين وبأنها في موقف مضحك ومبكي أمامه، لأنه يعتقد بأنها قادرة على استغلال أنوثتها وجمالها لتحصل منه على أسرار الشركة.

ضحكت غير مصدقة ثم قالت: «هل تعتقد فعلاً انني أحاول اغوائك لأحصل منك على تلك الوصفات لدوائك الجديد؟»

أجابها بغضب: «ألست كذلك؟»

أجابته جواباً ربما قتلتها شقيقتها هيلينا لو سمعتها: «انك مغرور أحمق، يا سيد باري! واعتقد انك تحتاج إلى حقنة من دوائك الهرموني... وتبدو لي انك رجل شكوك تماماً مثل ماتا هاري!» واستدارت بسرعة لتتوجه نحو الباب، لكنها لم تتمكن من ذلك لأنه أمسك كتفها بقوة وأدارها لتواجهه وجهاً لوجه.

«انك لا تستطيعين اغواء أحد. واعتقد انك تعرفين الكثير عن محتويات تلك الحقيبة، وذلك طبعاً من أجل مصلحتك الخاصة.»

كان يقصد بذلك، ذكرها الحقنة الهرمون. وتمنت فران في تلك اللحظات لو ان هيلينا لم تكلفها بهذه المهمة أو انها لم تصب أساساً بتلك الحادثة... وأمسك جوردان بكتفيها بقوة ولم تبد فران أية مقاومة لسبب تجهله. لقد شلتها قوته ولم تستطع القيام بأي شيء لتتخلص منه، والتقت نظراتهما بمعركة صامتة، وأحست بالضعف والوهن بينما كانت تنتظر منه أن ينطق بأي شيء حتى لو كان ذلك الشيء اتهام آخر يوجهه إليها، لأنه قد يحررها من هذا الشعور الذي يسحق قلبها.

لم يكن الذي يسحق قلبها شعورها بالخوف منه، انما عوامل أخرى لا تدري ما هي. وتراءى لها وهي ما زالت تنظر في عينيه بأنها مرآة تعكس صورة لعينيها تشجّعانها وتقولان لها ألاّ تؤخذ بتهديداته، ورأت أيضاً شيئاً آخر لم تستطع فهمه.

الظاهر انه شاهد أيضاً ما في عينيها، فخفف من شدة قبضته لكتفيها جزئياً، فشعرت فران وكأنهما

تلاطفانها، وتحولت أفكارها المضطربة نحو شقيقتها هيلينا.

تراءى لها انهما يضمان بعضهما البعض الواحد إلى صدر الآخر، وتألمت لذلك، فشقيقتها رائعة الجمال وهذا الرجل فاتن يستطيع ان يجذب النساء إليه بالرغم من معاملته القاسية لها منذ ان التقت به. انه رجل متحفظ لا يبدي أي اهتمام أو عطف ويخفيهما تماماً، وقد أثبتت ذلك من ثورته الجامحة سابقاً.

ان هذا الرجل صديق لهيلينا، ومع ذلك لم يبدِ أي اهتمام عندما قالت له فران انها في المستشفى. صحيح انه حتى الآن لم يصدق بعد بأنها شقيقة هيلينا، ولكنه كان يتوقع حضورها ولم تحضر بسبب تلك الحادثة ويقف أمامها بارداً لا مبالياً، انه يفترض من فران ان تكرهه لذلك التصرف، ولكنها لم تفعل.

ولم تستطع أن تبرّر سبباً لشعورها بهذا تجاهه، ولكنها استطاعت أن تدرك أمراً واحداً، وهو انها أمام رجل مميز، ومميز جداً لدرجة كبيرة.

الفصل الثاني

قالت فران اخيراً وقد باتت لا تتحمل هذا الصمت المميت اكثر مما تحملت: «إن كنت تعني بكلامك تذكيري لحقنة الهرمون، فاعلم أن هيلينا هي التي أخبرتني بأن تلك الاسطوانات تحتوي على نتائج فحوصات الهرمون، ولا اعرف شيئاً اكثر من ذلك، اؤكد لك.»

توقفت عن الكلام لتنظر على الجهتين حيث ما زالت يدا جوردان ترتاحان على كتفيها. ثم تابعت قائلة: «والآن، ارفع يديك عني والا سيكون دوري لطلب النجدة من أمن عام الفندق.»

حررها من قبضتيه بينما كانت تنظر إليه من خلال رموشها الكثيفة وقد خيم عليهما جو بارد، ثم ابتعد عنها بعد ذلك وبصورة مفاجئة متوجهاً نحو الثلاجة.

واحتارت فران بأمرها ولم تدر ماذا تفعل، هل تعود من حيث اتت؟ ام تحاول اقناعه بأنها لا تنوي به شراً؟ لكن لِمَ تفعل ذلك؟ اليست تلك الأسطوانات المهمة بين يديه الآن؟ ووقع اختيارها على فكرتها الأولى، ولكنها وعندما حاولت ان تتحرك من مكانها، سمعته يقول لها بلهجة آمرة: «لن تذهبي إلى اي مكان قبل أن تصارحيني بالحقيقة.»

استدارت بسرعة لتواجهه، ولكنه كان ما يزال يدير لها ظهره. فأخذت فران تحدق بقوامه وتتأمله. وجدت ان لون شعره يميل إلى السواد، قوي البنية، انه فعلاً كذلك، رجل فظ

متغطرس ينتظر من الجميع الامتثال لأوامره عندما يتفوه بها.

عادت تقول له بهدوء: «انني شقيقة هيلينا، ولقد حصل لها حادث، كما وانها اخبرتني كم انت بحاجة ماسة لتلك الاسطوانات من أجل المؤتمر، لذا طلبت مني ان احضرها لك. لكن اقول لك بصراحة، اتمنى لو انها لم تكلفني بذلك لأنني لم اكن اتوقع ان اتهم بالكذب...»

كان صوتها يرتجف فاضطرت ان تتوقف عن الكلام. التفت جوردان بسرعة إليها عندما تبدلت نبرة صوتها، فبلعت ريقها لتتابع بحرقة: «لقد اسديت لك خدمة كبيرة بقدومي إلى هنا، واضطررت إلى التغيب عن وظيفتي من أجلك، فكلمة شكر تقولها لي لن تكلفك شيئاً!»

لكنها لم تحصل على كلمة شكر منه، بل سألها إذا كانت ترغب بشراب منعش، ثم أضاف: «الأفضل لك أن تجلسي قبل ان تسقطي منهارة على الأرض، فوجهك شاحب اللون بعض الشيء.»

وكيف لا تكون شاحبة؟ جلست بارتياح على اقرب مقعد. ربما ارتجاف صوتها جعله يدرك انه ليس بهذه الطريقة تعامل السيدات. واخذت تنظر إلى سروالها الجينز متمنية لو انها ارتدت شيئاً آخر قبل أن تأتي إلى جناحه الخاص. لأنه في اعتقادها ان سروال الجينز لا يفرض الاحترام ولا يدل على انها سيدة محترمة.

ثم كرر قائلاً: «ما الذي ترغبين في تناوله؟»

نظرت إليه قائلة: «آه، آسفة. انني ارغب... ارغب بعصير البرتقال.» ثم تنهدت متابعة: «واكرر آسفي، فأنا لم اتهم ولا مرة بالتجسس.»

سكب جوردان كوبين من عصير البرتقال ثم ناولها احداهما وجلس على المقعد المقابل لها. لكنه ما ان جلس حتى عاد ليقف مرة اخرى ليتناول كوبها عن الطاولة قائلاً: «اعتذر اليك، لقد سكبت لك عصيراً من نوع آخر، فأفكاري مشغولة بأمور أخرى.»

أسرعت تقول له وقد لاحظت فعلاً انه مشغول البال: «اسمع، هذا لا يهم واعتقد انك...» وكادت ان تقول له إنه يحاول ان يسخر منها ولكنها عدلت عن ذلك.

عاد يجلس من جديد مبتسماً في وجهها ولأول مرة منذ ان التقت به، وكشفت ابتسامته عن أسنان ناصعة البياض كما تهيأ لها أنها فعلاً كذلك. وشعرت فران بسحر تلك الابتسامة.

وفكرت وهي ترشف بعضاً من ذلك الشراب المنعش، كم ان شقيقتها هيلينا محظوظة. ولكن ما هذا الذي تفكر به؟ وكيف تجدها محظوظة عندما يكون من المستحيل العمل معه؟ لكن هناك ايضاً ساعات بعد العمل التي تحضر هيلينا نفسها لها، وشعرت فران باضطراب داخلي عندما وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد.

ابعدت فران نظرها عنه عندما وجدته يحدق في وجهها، وقال كأنما قرأ ما كانت تفكر فيه: «لم اعرف ان لهيلانه شقيقة، لكنني لاحظت وأنا انظر اليك عن قرب الآن، بأن هناك شبه خفيف بشكل العيون وليس باللون. فعيناها بنيتان، بينما عيناك خضراوان. على كل، عيناك وعيناها جميلتان كحبات اللوز شكلاً.»

لم تكن فران معتادة على اي نوع من انواع المديح، كما

انها لم تدر بما ترد على هذا الإطراء، ولكنها ادركت بعد ذلك بأن هذا المديح لم يكن موجهاً اليها بل إلى شقيقتها الرائعة الجمال هيلينا، لذا فانها ابتسمت مجاملة له.

«اننا غير متشابهتين بالمظهر أو بالطبيعة، واعتقد ان ذلك يعود إلى فارق السن في ما بيننا. فهيلينا تكبرني بأربعة عشر عاماً وقد كنت في الثالثة من عمري عندما تركت البيت، لذا تراني بالكاد اعرفها جيداً. انني اعيش معها الآن منذ ستة اشهر فقط وما زلت لا اعرفها جيداً ويبدو انني اثير غضبها لأسباب اجهلها.»

ما قالته فران كان بمثابة اعتراف. وتساءلت في نفسها لما قالت له كل ذلك وكأنما شعرت بأنه طبيب العائلة، وتريد منه علاجاً شافياً كي تتمكن بواسطته من التجاوب مع شقيقتها.

«لِمَ تعيشين معها اذاً؟»

انه لم يكن يعلم بحقيقة وجودها في حياة شقيقتها، ولم تندهش فران من هذا الأمر. ان هيلينا تعيش دائماً لنفسها ومع نفسها ولا تبوح بشيء من اسرارها لأحد من اصدقائها. وقد تكون ايضاً صديقة لهذا الرجل، انما هذا لا يعني بأنها قريبة منه بما فيه الكفاية. ومن المؤكد ان هيلينا لم تخبره انه عندما توفي والدهما اضطرت ان تتولي العناية بها لصغر سنها كي لا تصبح في الشارع.

اجابته بصدق: «لم يكن لي من ملجأ سواها بعد وفاة والدي، فالبيت الذي كنا نعيش فيه ليس ملكاً بل بالإيجار وكنت اعتني بصحة والدي المريض لمدة سنتين ولم اكن اعمل بعد، لذا لم يكن في استطاعتي ان ادفع ثمن ايجاره

كما ان صاحبه اراد بيعه، فاقترحت هيلينا عليّ ان انتقل إلى لندن لأعيش معها إلى ان اتمكن من الاعتماد على نفسي.»

كانت هذه أول كذبة تكذبها فران في حياتها كلها، فهيلينا لم تقترح شيئاً من هذا. والحقيقة كانت ان فران قد ارهقها واتعبها السهر على راحة والدها المريض فتوسلت ليتم انتقالها إلى لندن. وكان والدها قد عانى الأمرين في مرضه وكان لا بد على فران ان تكون هي كبش المحرقة ابان مرضه، ولم ترد هيلينا على توسلاتها من اجل مساعدتها، فقد كانت لها حياتها الخاصة وعملها، فأوكلت إلى فران مهام الاعتناء بوالدها العاجز الذي احزنها جداً موته، ولكن كان لا بد من ان تواجه هذه الحقيقة المؤلمة برباطة جأش.

واضطرت فران للانقطاع عن دروسها الجامعية وعن الوظيفة التي كانت ستحظى بها في المستقبل، وذلك كله بسبب انانية شقيقتها والتي لم تعرف من التعاسة والألم شيئاً طوال حياتها بالرغم من موت والدها. فلهيلينا بيت انيق ومريح في لندن وعمل تحبه وتقدره كثيراً، وكذلك لديها المال الوفير ولكنها لم تعرف لوناً أو طعماً للسعادة.

وتذكر فران من خلال اتصلات هيلينا القليلة إلى كوخ العائلة في ساسكس، قساوة قلب هذه الأخيرة التي لم يظهر عليها الحزن، والألم لموت والدتهما في البداية. وعندما سألت فران والدها لماذا هيلينا على هذه الحال من القساوة وفقدان الشعور والمحبة، اجابها بأن الغيرة والحسد يفعلان الكثير بصاحبهما. فقد كانت ولمدة اربعة عشر عاماً

تلك الطفلة المدللة والوحيدة، إلى ان ولدت فران لتشغل حياة الوالدين. فلاحظت هيلينا ذلك الانقلاب المفاجيء عندما انتقلت مشاعرهما ولهفتهما إلى تلك المولودة الجديدة، ولازمها اليأس مدة ثلاث سنوات إلى ان هجرت بيت العائلة بحثاً عن مستقبلها. وحاولت فران بيأس ان تكسب مودة وعطف هيلينا، ولكن محاولاتها جميعها باءت بالفشل، فلامت والديها لتحولهما السريع إلى اللامبالاة، وبأنه كان عليهما ان يدركا ما سيتأتى نتيجة ذلك من معاناة والم في نفس هيلينا.

انتشلها جوردان فجأة من افكارها ليعيدها إلى الحاضر وهو يقول لها: «هل تشغلين وظيفة في النهار غير عملك الليلي في المطعم؟»

شعرت فران عندما سمعت كلامه بأن وضعها الصحيح يجب ان يكون إلى جانب شقيقتها، لأنه وبالرغم من المشاعر التي تكنها هيلينا لهذا الرجل، فهو لا يبدي اي اهتمام بها أو بالحادث الذي اصابها.

أجابته بصلابة: «كنت اتوقع منك اهتماماً بصحة شقيقتي اكثر مما اقوم به من اعمال في حياتي.»

ضاقت عيناه بحدة، كأنما ما كان يجب عليها ان تكلمه بهذه الطريقة ثم قال: «لقد قلت لي ان هيلينا في المستشفى، ومهما كانت تعاني من آلام، فهي تحت رعاية واهتمام شديدين، فهل يتوجب علي ان اقلق واهتم بها؟»

صعقت لقوله واجابته بغضب: «اعتقدت ان اخلاصها وتفانيها في العمل سيكون لهما حساباً في شركة باري للأدوية، أو قد يوقظان فيك اهتماماً بها. لكن، وبعد ان

امضيت برفقتك بعض الوقت، ادركت انك لا تملك ذرة من الصفات الانسانية.»

وعندما انتهت من كلامها وقفت وفي رأسها استنكار لاهتمام هيلينا بهذا الرجل المخيف. وعندما حاولت ان تتحرك من مكانها وجدت انه قد دفع بالطاولة الصغيرة إلى ساقيها لتمنعها من التقدم خطوة واحدة.

ثارت بحنق: «دعني! انك تتصرف تصرفاً طائشاً.»

اجابها بلهجة آمرة: «اجلسي! فأنا لم آذن لك بالخروج بعد.»

«تأذن لي بالخروج! ومن تحسب نفسك انت لتأذن لي؟» واخذته على حين غفلة وهي تدفع بالطاولة الزجاجية لتضرب حافتها بساقه فتأوه بألم.

هتف قائلاً وهو يتحسس ساقه: «كم أنت حقيرة.»

أجابته بنقمة: «انك تستحق ذلك لتجاهلك وعدم اهتمامك بحادث شقيقتي. ولا ادري ماذا يعجبها فيك.»

تقدم ليقف إلى جانبها قائلاً وهو يمسح شعرها بلطف: «اسمعي، انني آسف لهيلينا، لكنني احاول ان اكون واقعياً وغير عاطفي. ففي هذه اللحظات، اهتمامي ينحصر بشركتي وبإدارة الفي موظف فيها...»

قاطعته وهي ما زالت تشعر بالإهانة: «لا ارى في هذا أية علاقة بالاستفسار بما اقوم به في حياتي!»

اجابها بحنق وكأنما كان عليها ان تفهم مقصده: «لأن هيلينا تركتني وأنا في أمس الحاجة اليها في هذا المؤتمر، لذلك سألتك عن العمل الآخر الذي تقومين به، فلو كنت ملمة قليلاً بالاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة،

لتمكنت من مساعدتي. واتساءل، هل تعرفين بأمور الكومبيوتر؟»

شعرت بغمامة سوداء تغشي عينيها، فقالت له بنبرة متقطعة: «تقصد... تقصد... انك تريد مني ان آخذ مكان هيلينا؟»

أجابها بسرعة: «هذا أمر منافٍ للعقل، فلا احد يستطيع ملء فراغ هيلينا، ولكن...»

انفجرت فوران غاضبة: «هذا صحيح! ولكن اقول لك، انك حتماً فقدت عقلك، يا سيد باري. فأنا لن اساعدك حتى ولو كنت متعطشاً لجرعة ماء في الصحراء البعيدة وكنت أنا أحمل تلك الجرعة من الماء. لأنك شخص لا يطاق بتاتاً، اتعرف ذلك؟ انك لا تطاق! ان شقيقتي مستلقية الآن على فراش في المستشفى مثخنة بالجراح وقلقة من اجلك، وانت لا تعيرها اي اهتمام. ولقد اصطدمت بدراجة نارية لأنها كانت في منتهى التعب والارهاق من العمل طوال الليل لتؤمن لك تلك التقارير السخيفة... آه منك!»

ثم اسرعت خارجة من الجناح دون أن يستوقفها هذه المرة، واسرعت في الممشى والغضب يعمي بصيرتها عائدة إلى غرفتها. توجهت رأساً إلى الحمام وغسلت وجهها بالماء البارد. لقد جعلها غاضبة وثائرة وكم تمنت لو صفعته على وجهه... فلو كانت رجلاً لما ترددت بذلك ابداً! وفكرت وهي تنشف وجهها، كيف يمكن لرجل مرعب مثله ان يتمتع بهذه الجاذبية في نفس الوقت.

عندما خرجت من الحمام، وجدته امام النافذة ينظر إلى الرسم الذي رسمته ويقارنه بالشارع في الأسفل. فوقفت

مكانها وقد تجمد الدم في عروقها، ولكنه لم يلتفت اليها، بل تابع يتأمل الرسم الذي بين يديه.

كان قد فك ربطة عنقه الآن، وسقطت خصلة من شعره الداكن على جبينه، كما ان ملامح وجهه اصبحت مختلفة ويمكن القول اكثر لطفاً، تماماً كسكون الطبيعة بعد عاصفة هوجاء.

شعرت للوهلة الأولى بأنها تريد أن تنتزع الرسم من بين يديه، وان تأمره بالخروج من الغرفة، ولكن ذلك سيكون عملاً طائشاً وفران بعيدة كل البعد عن هذه الأخلاق. شعرت بشعور غريب لم تجد له تفسيراً، شعور يتخبط في اعماق نفسها تجاه هذا الرجل.

انها في باريس، وفي هذا الفندق تواجه هذا الرجل الصلب. وعضت فران على شفتها، فهي لم تمر بحادث كهذا في حياتها من قبل، ولكن وبطريقة ما، انبأتها غريزتها الانثوية عن ذلك الشعور الذي يختلج في نفسها. فهي امام رجل أنيق وذكي، وبينما هي ليست سوى امرأة تنقصها الخبرة في هذه الأمور.

التفت إليها بعد ذلك لينظر في عينيها، ثم تكلم بصوت اجش: «انك تشعرينني بالحياة.»

شعرت فران بدفء كلماته ولم تستطع الاستمرار في النظر إليه فتحولت بناظريها بعيداً عنه. لقد قرأت في عينيه الرماديتين اللطف والمودة. لم تكن لتصدق انها موجودة في الصورة المعقدة التي اظهرها لها في البداية. ثم مشت نحو طاولة الزينة وكأنها تريد الهرب من نظراته ومما قد تقرأ فيهما اكثر. وبتوتر ظاهر وهي لا تدري ما تقوم به، حملت المصباح وارجعته إلى مكانه.

ثم سألته: «هل جعلتك تشعر بما تشعر به لأنني صرخت في وجهك واجبتك على خطابك بالمثل؟»

اجابها متمتماً: «ربما كذلك.»

«انك غير معتاد على مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟ لأنك تريد الاحترام والخنوع لك من الآخرين.»

«انني لا اطلب منهم ذلك، انما مركزي يجبرهم على ذلك.»

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة: «ايفترض علي ان آسف لأجلك؟»

انه لم يكن يستعطي الشفقة، ولكن اموراً اخرى استطاعت ان تقرأها في عينيه.

وضع الرسم على السرير ثم توجه نحوها وقال لها ببرود: «لنوقف هذا الحديث الذي قد يؤدي بنا إلى امور نحن بغنى عنها. لقد كنت جاداً في كلامي عندما طلبت منك مساعدتي.» نظر إلى شعرها وتابع: «إمنحي لشكلك تغييراً، وتخلصي من هذه الربطة، فبدونها ستبدين اكثر احتراماً.»

لقد ظهر بأنه يسعده في ان يوجه اليها الاهانات، ولكنها لم تتواجد هنا لاجل اسعاده، فأجابته: «اسمع يا سيد باري، انني لا استطيع ان افعل اي شيء لك. فأنا لست سكرتيرة، كما انني لست دمية بين يديك تستطيع التحكم بها عندما تشاء، لذا توجه بشكواك إلى شخص آخر. ها قد حصلت على المعلومات التي تريدها من أجل المؤتمر غدا... وإلى هنا تنتهي خدماتي معك.»

ثم تقدمت من السرير لتتناول حقيبة ظهرها والرسم والحقيبة القماشية التي تحتوي على ملابسها وقد شعرت بأن مهمتها انتهت الآن.

سألها عند ذلك بهدوء: «ماذا تفعلين؟»

اجابته بلا مبالاة: «راحلة بالطبع. لقد اوصلت اليك تلك الاسطوانات وسأرجع الآن.» قالت ذلك وكأنها لا يهمها اذا لم تعد تراه مجدداً، ولكنها في الحقيقة كانت تخشى ذلك. لقد اثار غضبها واهانها ومع ذلك كانت تشعر بحنان نحوه. فما الذي اصابها يا ترى؟

«انك لن تجدي رحلة إلى لندن في مثل هذا الوقت.»

اجابته وهي ترفع حقيبتها القماشية: «من قال شيئاً عن اية رحلة؟ انني اريد فقط مغادرة فندق كليرمونت لأجد فندقاً آخر، ولا اريد مغادرة باريس.» وتمنت ان تبدو عليها الخبرة التامة في مثل هذه الأمور. لكنها كانت في داخلها تشعر بصعوبة هذا الموقف، ومن التسكع في الشوارع المظلمة في هذا الطقس العاصف لتبحث عن فندق يناسب ميزانيتها.

«وإلى اين تعتقدين انه بإمكانك الوصول دون مال؟»

اسقطت حقيبتها القماشية على الأرض وقالت له متحدية وقد وضعت يديها على خاصرتيها: «يمكنني ان اتحمل اية مصاريف مهما بلغت، فشكراً جزيلاً لك.» وفي الواقع كانت تملك المال الكافي لذلك.

«وماذا عن تذكرة العودة؟»

أثار غضبها طريقته في التحقيق معها، وقد بدا لها بوضوح انه لم يكن بذلك يقلق على امكاناتها المادية، بل كان يحصر كل همه في شركته اولاً وآخراً. فابتسمت له ابتسامة باهتة وقالت: «انني املك تذكرة العودة، وقد دفعت هيلينا ثمنها سلفاً ومن حسابها الخاص، فلا تفكر انها من

حساب شركة باري للأدوية. لذا، إن كنت تفكر بمصادرة هذه التذكرة او بأية أمور اخرى، فعليك ان تنزعها تماماً من رأسك!»

لكن، ما هذا الذي تحاول قوله؟ وكأنما كانت تفكر بأنه يحاول ان يمنعها عن السفر، وهذا تفكير جنوني بالطبع.

«إذاً، انت تريدين العودة إلى لندن غداً؟»

كان ثمة شيء في نبرة صوته أنبأها بأن شكوكها كانت في غير محلها، لأنه كان يتكلم كرجل واثق ومعتدٍ بنفسه ويقف موقفاً يدل على عدم مبالاة واهتمام.

«نعم، بعد ظهر يوم الغد.»

«هل تملكين جواز سفر؟»

تنهدت فران بانزعاج لسؤاله التافه والسخيف ثم تناولت حقيبتها القماشية قائلة: «وكيف امكنني الوصول إلى هنا من دونه إذاً؟» ثم وكأنها تنبهت لأمر هام جداً وتأوهت بألم حاد وقد ادركت ما كان يقصد بكلامه فتابعت تقول: «ان جواز سفري والمال في تلك الحقيبة التي سلمتها لك، أليس كذلك؟»

كانت قد نسيت انها وضعتهما في تلك الحقيبة لأنها اكثر اماناً، وكانت هيلينا قد طلبت منها ان تحافظ على تلك الحقيبة كمحافظتها على حياتها، لذا فقد كانت فران تتمسك بها وتشدها إلى صدرها طوال الرحلة. وكان من الطبيعي وفي هذه الحال ان تضع جواز سفرها ومالها فيها. والمضحك المبكي في نفس الوقت، انه بات الجواز والمال في مكان أكثر اماناً، الا وهو في درج مكتب جوردان المقفل.

فسألته بصوت ضعيف: «ستعيدهما إليّ، أليس كذلك؟»

أجابها ببرود: «لا نية لي بذلك.»

اجابته بالحاح وهي تبحث في ملامح وجهه عن سبب لذلك: «لكن لماذا؟»

هل كان جاداً في كلامه عندما طلب منها المساعدة في ذلك المؤتمر؟

لكنه لم يجب عن سؤالها، كأنه سؤال لا يستحق الرد عليه، وبقي واقفاً في مكانه يتابع النظر إليها بطريقة لم تستطع قراءة ما يجول فيهما هذه المرة.

وعندما بقي صامتاً، هزت بكتفيها غير مبالية ثم قالت: «في الحقيقة، لا يهمني عدم تجاوبك معي، لأنه يمكنني أن اذهب إلى القنصلية البريطانية وابلغهم بأنك سرقت اشيائي وعندها سينظرون في هذه الشكوى.»

«ان القنصلية البريطانية تبعد كثيراً عن هذا المكان والطقس ماطر جداً.»

«سأستقل المترو، كما ان دفتر التذاكر بحوزتي...» وكذبت في ذلك، لأن الدفتر كان في تلك الحقيبة مع اشيائها الأخرى، ولا تملك الآن فرنكاً فرنسياً واحداً.

بدأ يتحرك من مكانه إلى ناحيتها، وفكرت فران انه متى اصبح قريباً منها سوف تضربه واخذت تشد على اصابع يديها استعداداً لذلك، لكن هل يمكنها ان تقوم بذلك، وهل تقوى على ضربه؟

ثم سألته بصوت متهدج يائس عندما اصبح قريباً منها: «ماذا تريد مني بالتحديد؟»

ظهرت على وجهه ابتسامة هازئة وهو يقول: «ارغب في

ان اوظفك عندي لأسبوع أو أكثر. هل في حقيبة ملابسك ثوباً للسهرة؟ على كل حال، لا يهم ان كنت لا تملكينه، لأنه يمكننا ان نتدبر هذا الأمر. انني في حاجة اليك طوال فترة انعقاد هذا المؤتمر، ولا خيار لك، فعليك الموافقة على كل شروطي.»

قالت بصوت متقطع: «شرو... شروط؟»

«سأدفع لك بسخاء إذا تعاونت معي، كما ان كل وسائل الراحة ستكون مؤمنة لك في هذا الفندق، وسيكون لديك متسع من الوقت لممارسة هواية الرسم. وعندما انتهي من خدماتك، سأعيد اليك جواز سفرك واتأكد من وصولك بأمان وسلام إلى بريطانيا.»

اجابته بصوت ابح: «انك... انك لن تستفيد من خدماتي يا سيد باري، فأنا لا اجيد الطباعة... أنا... لا...»

قال بنبرة هادئة: «يمكنك ان تقومي بالكثير من اجلي يا فران كاين.» اصبح قريباً جداً منها، وتهيأ لها انه سوف يلمسها، فتملكها خوف شديد في داخلها. ولكنه ابتعد فجأة عنها مما جعلها تشعر باطمئنان وبموجة باردة تهدىء من اعصابها.

«لكن وقبل ان نوقع على الموافقة، اود ان اقدم اعتذاري لك.» قال ذلك وهو يقف قرب النافذة.

اضطربت فران من كلامه وقالت: «ماذا تقصد؟» ثم جلست بوهن على مقعد طاولة الزينة لأن قدميها لم تقويا على حملها اكثر من ذلك وقد احست بدوار شديد في رأسها.

جاء اعتذاره لطيفاً كالنسمة العليلة يلطف من جو الغرفة وهو يقول: «آسف ان كنت قد بدوت لك بارداً وخالياً من

www.elromancia.com

الشعور، فأنا فعلاً اهتم لصالح وخير هيلينا واعلم جيداً انه مهما حدث لها، فهي ستستمر بالتعاون معي. انها كانت افضل المعاونين لي خلال تلك الأشهر المنصرمة، واقدر فيها تلك الجهود التي قدمتها للشركة. ربما لم تقل لك ان شركات عديدة تحاول ان تحتل المركز المرموق والشهير الذي توصلت إليه شركتي، لذا فإنه يتوجب عليّ وعلى فريق عملي المثابرة والاخلاص في العمل. اكرر اسفي لك ان بدوت سيىء الطبع معك بسبب الضغط الشديد الذي اتحمله. كنت اتوقع مجيئها هي وليس مجيئك انت، فصدمت عندما وجدت فتاة صغيرة ترتدي سروالاً من الجينز وسترة صوفية يزيدان على قياسها عدة قياسات وتقدم نفسها بأنها شقيقة لسكرتيرتي.»

اعترضت فران قائلة: «انني فعلاً شقيقتها، ولست بفتاة صغيرة... فقد بلغت سن الثانية والعشرين.»

ابتسم قائلاً: «حسناً. تصرفي على هذا النحو من عمرك إذاً.» عضت فران على شفتها وابعدت نظرها عنه خجلة بينما كان يقول: «شكراً لاحضارك هذه الحقيبة لأجلي، ان محتوياتها لفي غاية الأهمية بالنسبة لي. فأنا على وشك ان اقدم دواءً سيرفع من شأن شركتي إلى مستوى اقوى واعظم. لذا، فإنني واثق بأنك ستكونين مساعدة جيدة لي.»

هزت فران برأسها بجزع قائلة: «لا ارى كيف يمكنني ذلك.» وتقدمت نحوه إلى النافذة وتابعت تقول: «لقد سبق واوضحت لك بأنني لست سكرتيرة.» ثم توقفت عند الجهة الأخرى من النافذة، ونظرت إلى الخارج حيث خلا الشارع

من المارة وتوقف سقوط المطر ثم قالت: «انا لست هيلينا.»

همس مجيباً: «لا، انك لست هيلينا.»

«انك لم تعتد على الاعتذار لأحد، اليس كذلك؟»

«لست مضطر عادة لذلك.»

تمتمت قائلة: «لقد كنت فظاً معي.»

«اعرف، ولم يكن من داعٍ لأكون هكذا، فهل توافقين على البقاء لتساعديني؟»

فكرت فران كم انه غريب الأطوار، فهو مرة وحش كاسر ومرة اخرى... من المؤكد ان هيلينا لم تكن تفوت عليه اية فرصة في النجاح، لكنها سبق وافهمته بأنها ليست هيلينا ولن ترتمي بين ذراعيه وتوافق على اي شيء يطلبه منها.

حاولت أن ترفض عرضه مجدداً فقالت: «اعمل في معرض للرسم في النهار، وفي الليل في مطعم، ولا افهم شيئاً بالأدوية ومبيعاتها.»

نظر إليها مبتسماً وهو يقول: «يبدو ان هذا عظيم بالنسبة لي.»

قطبت حاجبيها قائلة: «ماذا تقصد؟»

«انك جميلة، وتتكلمين الفرنسية بطلاقة، وكذلك، فأنت ملمة بالفن والرسم.»

قاطعته قائلة دون ان تعلق على مديحه لها: «ولا اعرف شيئاً بأمور شركتك.»

«انك لست بحاجة لمعرفة اي شيء، فأنا بحاجة إلى مضيفة وليس إلى بائعة.»

اسرعت فران تقول لاهثة: «مضيفة! وماذا يتطلب هذا العمل بالتحديد؟»

«ان المؤتمرات التي من هذا النوع ليست دائماً محاضرات لاصطلاحات طبية غير مفهومة، بل هناك ايضاً الناحية الاجتماعية منها، مثل لقاءات على العشاء من اجل توطيد العلاقات مع الزبائن واقناعهم بجودة منتجاتنا.»

«لا استطيع ان ارى نفسي في اي مكان من كل هذه الأشياء التي ذكرتها.»

«انني بحاجة إلى امرأة جميلة إلى جانبي لتضيف جواً رائعاً بعد طول مدة تلك المحاضرات المرهقة. وسيرافق المستشارون زوجاتهم لحضور الحفلات بعد انتهاء المؤتمر، وسأكون بحاجة إلى...»

وتابعت فران قائلة: «احداهن لتدور بطبق الكانابيه على المدعوين.»

ابتسم لها بغموض وقال: «شيئاً من هذا.»

كانت الأفكار تتضارب في رأس فران، لقد استطاع ان يجعلها ترى الأمر ساحراً وفاتناً بالحفلات التي تلي المؤتمرات الطبية... ولكنها لم تتصور نفسها انها ستحمل طبق الكانابيه وتدور به حول المدعوين أو ان تملأ كؤوسهم الفارغة بالعصير المنعش.

اهو فعلاً سيحتفظ بجواز سفرها وبمالها؟ واخذت تفكر ملياً بالعرض الذي عرضه عليها بينما كانت تراقب رجال الشرطة يدخلون مطعماً في الشارع الممتد امامها. والعرض يؤمن لها كل اسباب الراحة في هذا الفندق بالإضافة إلى التجول في شوارع باريس الساحرة. فلو كان في صورة ذلك الرجل المسن والأصلع الذي تصورته

في البداية، لكانت وافقت فوراً على عرضه، ولكنه عكس ما تصورته تماماً، فهو رجل فاتن وأنيق ولا يستحقها. ابتسمت في داخلها من شدة غبائها وقلة ادراكها في الاشياء التي تفكر بها. فهو من المؤكد لا هم عنده سوى ان تعمل معه. لأنه صديق لهيلينا ولن يفكر بسواها، وهذا لا يعني ان فران تحقر من نفسها، انما حساسيتها المرهفة افادتها بأن هيلينا هي المرأة المناسبة لجوردان باري.

قالت بعدما رأت رجال الشرطة يخرجون من المطعم وبرفقتهم طاهية: «دعني افكر في عرضك يا سيد باري. لكن وليكن بعلمك، ففي حال انني رفضته، ستعيد اليّ اغراضي، أليس كذلك؟»

«لقد سبق وقلت لك ان لا نية لي في ذلك. فما الذي استطيع ان اقوله أو افعله لاجعلك توافقين على عرضي؟»

ثم تقدم نحوها وكانت عيناه الرماديتان تومضان ببريق غريب.

للحظات، اضطربت فران من تعابير وجهه المتبدلة، ومال برأسه. ثم قال متمتماً: «سأمنحك عشرين دقيقة.»

سألته بغباء: «ولمَ هذه العشرون دقيقة؟»

ضحك بلطف وقال: «يا لك من فتاة غريبة وطريفة! انني امنحك عشرين دقيقة لتحضري نفسك للعشاء. هل تحملين معك ثياباً اخرى لهذه المناسبة؟»

هزت برأسها بالايجاب.

«عظيم، سأنتظرك في ردهة الفندق بعد عشرين دقيقة.»

تركها واقفة إلى جانب النافذة محتارة بأمرها ولم

تتحرك من مكانها الا عندما سمعت صوت اغلاق الباب. مشت مترنحة إلى الحمام واخذت تنظر في وجهها في المرآة. فشعرت بالخوف منه ومن هيلينا، وحتى من نفسها.

الفصل الثالث

لماذا إذاً تستعد للذهاب إلى العشاء مع جوردان ما دامت خائفة كل هذا الخوف؟ كانت فران تطرح على نفسها هذا السؤال مراراً وتكراراً بينما كانت منهمكة في تحضير نفسها ابتداءً من غسل شعرها وتصفيفه إلى ارتداء الملابس الأنيقة، حتى بدت في غاية من الروعة والجمال تشعّ حياة وتالقاً. أليست تلعب بالنار؟ وسرعان ما أبعدت هذه الفكرة من رأسها وقد تذكرت انه لا مجال للمقارنة بينها وبين شقيقتها الفاتنة. ان دعوة جوردان لها إلى العشاء، لم تكن سوى اعتذار آخر لمعاملته السيئة لها.

يمكنها إذاً وفي هذه الحالة أن تعيش أحلام اليقظة وتتخيلها بأنه دعاها إلى العشاء برغبة والحاح وليس بدافع الاعتذار. تذكرت ما قاله لها بأنها تجعله يشعر بالحياة، وقد يقول لها أشياء أخرى جميلة إلى مائدة العشاء. وتذكرت هيلينا واعتقادها بأنه مدير مميز، لكن فران لم تجده بالوصف الذي وصفته شقيقتها.

وشكرت حظها لأنها كانت متنبهة واعية عندما أحضرت معها فستانها الأنيق والوحيد. انه ثوب أسود محتشم ومن القماش الجيد، وقد دهشت هيلينا عندما اشترته فران. وقالت لها في ذلك الوقت: «انه لا يناسب ذوقك يا عزيزتي.»

أجابتها فران متغاضية عن السخرية في كلامها: «أتساءل دائماً ما الذي يناسب ذوقي... ان خبرتي في

www.elromancia.com

الحياة قليلة ولم أجد بعد ما يناسبني أكثر ولا في أي شيء آخر.»

وأسرعت هيلينا وقتها بالخروج متأففة تاركة فران تعضّ أصابع الندم لتصرفها الحاقد عليها. في كل الأحوال، مهما فعلت أو قالت فران، فشقيقتها تحبط عزائمها بطريقة أو بأخرى.

وبينما كانت فران تدور حول نفسها أمام المرآة لتتأكد من أناقتها، فكرت ان هيلينا قد تحبذ وتوافق على هذه الأناقة الآن. فقد كان شعرها الأشقر الطويل يتموج اشراقاً وفتنة وينسدل على جانبي خديها الناعمين. كما ان شفتيها أصبحتا أكثر جمالاً من مسحة أحمر الشفاه التي وضعتها عليهما، وإلى عينيها اللتين تتماوجان بلوني البحر الأزرق والأخضر وتحيط بهما أهداب سوداء كثيفة، وهذه ميزة رائعة خصتها بها الطبيعة. انما هذه الميزة كانت تزعج فران في بعض الأحيان، لأن الناس كانوا عندما ينظرون إليها، يعتقدون بأنها قد صبغت أحد الاثنين، شعرها أو أهداب عينيها. ولقد ذكر لها جوردان ان عينيها جميلتان، فارتجفت فران عندما تذكرت ذلك، وتناولت بيد مرتجفة قرطين من اللؤلؤ ووضعتهما في أذنيها.

أما الفستان الذي ارتدته، فهو من المؤكد ليس مما تختاره عادة من الفساتين البسيطة والمريحة. انه يظهرها نحيفة القوام إلى أبعد حدّ وتراجعت إلى الوراء لتنظر إلى ساقيها النحيفتين واللتين بدتا طويلتين جداً بسبب الحذاء ذي الكعب العالي الذي تنتعله، ولكنها ورغم هذا كله، كانت تبدو معقولة.

خرجت من غرفتها وتوجهت إلى ردهة الفندق حيث كان من المفترض أن يكون جوردان بانتظارها، لكنها لم تجده. وتساءلت إن كان قد فكر ملياً بدعوتها إلى العشاء ثم عدل عن دعوتها أم انه قد نسي تلك الدعوة ونسي أمرها. جلست على مقعد من المقاعد الجلدية الفاخرة تنتظره، حيث كانت تتجنب نظرات الاعجاب فيها من سياح من مختلف أجناس البشر في ذلك الفندق. وتذكرت حياتها السابقة قبل ستة أشهر وقبل قدومها إلى لندن.

تذكرت أيضاً ان حياتها كانت تافهة قبل عملها في معرض الرسم وفي ذلك المطعم الليلي. كما ان الحياة في لندن نزعت عنها صفة تلك الفتاة الريفية الخجولة في وقت لا ينكر. لم تكن نظرات المعجبين بها تزعجها في المطعم الليلي، وتعلمت كيف تبادلهم ذلك بابتسامة لطيفة أو بنكتة عابرة كلما حاولوا أن يأخذوا منها موعد دون ان تغضب أحداً.

بقيت فران جالسة على المقعد الجلدي دون تململ مع انه قد فات على موعدها معه قرابة النصف ساعة، ولكنها كانت تشعر ببعض الضيق والقلق لتأخره هذا... وبعد ذلك وبينما كانت نظراتها متوجهة نحو المصعد الذي فتح بابه ليظهر منه جوردان واقفاً بأدب ليفسح المجال أمام سيدة أكبر منه سناً في الخروج أولاً، ابتسمت السيدة له ابتسامة تقدير واعجاب، وفهمت فران سبب ذلك، فقد كان يبدو رائعاً في بذلته السوداء الرسمية وقد ألقى معطفه الثمين على كتفيه العريضين. وشكرت حظها لأنها كانت قد أحضرت هذا الفستان الأسود الأنيق، وقفت عند ذلك وانتظرت منه أن

يشاهدها، فلا شك في ذلك لأنه كان يتقدم نحوها. ابتسمت مرحبة به وقد علت حمرة الخجل محياها الجميل وهي ما زالت تنتظر منه أن يراها.

«آه، لا.» تمتمت بصوت منخفض، انه لا يضع نظارته الطبية على عينيه لذا فلن يراها أبداً. ومرّ بجانبها وكأنها مثلها مثل أي قطعة من الأثاث في ردهة هذا الفندق الفخم. فهمست منادية إياه وقد وضعت يدها على كمّ سترته: «سيد باري، سيد باري! انك لم تعرفني، أليس كذلك؟»

وعندما التفت نحو مصدر الصوت ابتسمت له ابتسامة واسعة، دهش للحظة لكنه سرعان ما ابتسم هو الآخر قائلاً: «هذا أنت، لم استطع التعرف عليك.»

أجابته بخفة: «كان بامكانك ان تتعرف عليّ لو كنت تضع نظارتك الطبية على عينيك، ولا داعي من الخجل لوضعها، أليس كذلك؟» ومشت معه نحو مدخل الفندق.

«لقد حصلت عليها مؤخراً، ولا استعملها سوى في القراءة، ولم أتعرف عليك لأنني كنت أفتش عن فتاة بسيطة، وليس على...» وعاد ينظر إليها ملياً ليتأكد من أن عينيه لا تخدعانه في ما يرى أمامه.

«وليس على ماذا؟» أسرعت فران تسأله وتحثّه لكي يتفوه بالاطراء الذي كان على وشك ان يتفوه به.

تنهد قائلاً: «لا شيء، لا شيء... على أية حال، لا أجد الكلام المناسب لأصف لك هذا التغيير الذي بدا عليك.»

اقترحت قائلة: «ما رأيك بكلمة مدهشة؟»

«انك لست متواضعة، أليس كذلك؟»

«ليس عندما يكون هذا التغيير تغييراً كاملاً من جميع

الأوجه، فلقد كنت أبدو في حالة فوضوية كبيرة عندما دخلت إلى جناحك، لذا فعلت أفضل ما يمكن كي أبدو بصورة جيدة في هذه السهرة، وتكون في الوقت نفسه بمثابة اعتذار مني.»

ابتسم قائلاً: «شكراً لاهتمامك بهذا الأمر.»

«إلى أين نحن ذاهبان؟» سألته بعدما خرجا من الفندق ودخلا ليجلسا في المقعد الخلفي لسيارة كانت تنتظرهما مع السائق.

قال لها وهو يجلس إلى جانبها مما اضطرها للابتعاد عنه قليلاً: «إلى مطعم صغير أعرفه يوحي بالهدوء والطمأنينة ويقع قرب النهر.»

«آه، اعتقدت اننا سنتناول طعام العشاء في مطعم الفندق.» قالت وقد شعرت بالانزعاج في داخلها لأنها لم تتوقع مطعماً يوحي بالهدوء والطمأنينة، وتفضل لو كان ذلك في مكان أكثر أماناً مثل الفندق.

جلست فران على المقعد الجلدي الفاخر وأخذت تنظر إلى صفّ الأشجار المتتابعة على طول الطريق. ان أساس موافقتها على البقاء في باريس هو من أجل مساعدته في أموره الاجتماعية التي تلي الاجتماعات، لا للخروج إلى سهرات مثل هذا النوع، فاضطربت متمنية لو انها رفضت دعوته إلى هذه السهرة.

«انك تشعرين بالبرد.» قال ذلك وتناول معطفه ووضعه على كتفيها.

تمتمت شاكرة له صنيعه ثم قالت: «لماذا تريد مني بالذات ان أساعدك بتلك الأمور الاجتماعية؟ انني واثقة من

أنني سأخذلك، وسأسقط اكواب العصير من يدي في أي مكان، وسأتفوه بملاحظات سخيفة في مواقف لن تعجبني، وقد...»

قاطعها قائلاً بثقة: «لن تقومي بأي شيء من هذه الأشياء التي ذكرتها.»

«هل أنت على استعداد للمجازفة بمثل هذه الأمور؟»

التفت إليها قائلاً وهو يبعد خصلة من شعره تدلت على جبينه: «ما كنت طلبت منك ذلك لو لم أكن واثقاً من نجاحك في القيام بها، فأنت فتاة محبوبة وذكية يا فران، فلا تقللي من شأنك بنفسك.»

لم تستطع النظر إليه لقربه منها، وعادت تتمنى لو انه يمكنها الرجوع إلى الفندق لتتناول في غرفتها أية وجبة خفيفة، انه لطيف جداً معها وكان من الخطأ ان توافقه على الخروج معه في هذه الليلة.

قالت له بعد ذلك: «انني لا أقلل من مقدرتي بنفسي يا سيد باري، انني فقط اعتقد بأنك لا تدري ما تقوم به.»

أجابها جازماً: «أعرف تماماً ما أقوم به.» كان في نبرة صوته حدة وهو ينظر إلى الأمام بثبات، فارتجفت فرائص فران من ذلك، ومما لا شك فيه انه رجل له طرقه وأساليبه فماذا يريد منها هذه المرة يا ترى؟

قالت وكأنها قرّرت شيئاً هاماً: «لا أستطيع البقاء معك، كما ان هناك أسباباً عديدة تمنعني من ان...»

«حسناً، ولكنني أخشى أنه ليس لدي متسع من الوقت لأسمعها جميعها الآن.» توقف عن كلامه في الوقت الذي توقفت فيه السيارة إلى جانب الطريق.

انهما الآن أمام المطعم قرب النهر، خرج السائق وفتح الباب لها لتخرج من السيارة، وشعرت بالهواء البارد يتلاعب بخصلات شعرها، فارتعشت، ليس فقط بسبب الهواء البارد الذي كان يلفح وجهها، بل من الذي ينتظرها في الدقائق القليلة القادمة. وفكرت في ان تدعي انها تتألم من ألم حاد في رأسها، لكن الفرصة لم تؤاتها كما فكرت، فقد سمعت جوردان باري يصرف سائقه الذي لبى الأمر وابتعد بالسيارة عنهما.

كان المطعم يوحي بالدفء والطمأنينة من خلال أضوائه الهادئة. ومن الموسيقى الناعمة المنسابة، وأيضاً من رائحة الطعام الشهية، مما يدلّ على أنه يقدم أفضل أنواع الأطعمة.

كان المطعم قد امتلأ بالناس، ولكن جوردان كان قد حجز مسبقاً طاولة لجلستهما الرائعة المنتظرة. أخذت فران مكانها وعادت تتمنى من جديد، ولكن هذه المرة ليس لتعود إلى غرفتها في الفندق، بل ليحدث أمر ما يمكنها من العودة إلى لندن وبلمحة من البصر.

«حاولي ان تبدي أكثر اطمئناناً وانسجاماً.» قال لها جوردان ذلك مبتسماً. بادلته الابتسام مبدية الراحة والسكينة، فهي لا تستطيع ان تغيّر هذا الوضع الذي سمحت لنفسها به. وفي الواقع، انه ما من شيء لا يطاق أو يزعج برفقة رجل مثله استطاع ان يدير رؤوس النساء في هذا المطعم اعجاباً به، فاحتارت فران في أمرها ولم تدرِ ان كان عليها ان ترفع رأسها غروراً برفقته، أم تنكمش على نفسها مثلما كانت عليه دوماً تلك الفتاة الريفية البسيطة.

وقررت ان ترفع رأسها باعتزاز، ولما لا تفعل ذلك، فالفرصة لن تسمح لها دائماً ان ترافق رجلاً مميزاً مثله وتتناول معه عشاءً فاخراً مثل هذا.

«ان الزخرفة التي على تلك الجدران ليست من النوع الرخيص.» قالت له ذلك وهي تنظر باعجاب إلى مرآة علقت على احد الجدران.

ابتسم لها وقد شعر بانها تحاول جاهدة لتبدأ الحديث معه ثم قال: «أتتذوقين هكذا أنواع من الزخرفة؟» سألها بعد ان أمر ببعض المقبلات وهو ينظر في لائحة الطعام.

أجابته بينما كانت هي الأخرى تنظر في اللائحة: «احبذها ولكن لا لأن أعيش بينها. وعندما أتمكن من الحصول على منزل خاص بي، سأملؤه بالأزهار البرية وأعلق لوحات مائية للبحر المتوسط على الجدران ثم استريح على مقعد وثير أتأمل فيها.» وضعت لائحة الطعام جانباً وتابعت تقول: «سأتناول طبقاً من الحساء ثم شريحة من اللحم.»

«سأشاركك بطبق الحساء...»

قاطعت فران كلامه وهي تقهقه ضاحكة، من الواضح ان جوردان لم ينتبه إلى ما قاله لها.

ثم وبعد ان أدرك ماذا كانت تقصد بقهقهتها قال: «سأصحح ما قلته، سأتناول طبقاً من الحساء مثلك وبعد ذلك طبق من سوبريم دو فولاي روسيني.»

قالت فران وقد اتسعت عيناها باهتمام: «وما يكون هذا؟»

نظر جوردان إليها نظرات متفحصة قبل أن يجيب على

سؤالها ثم قال: «انك لا تشبهين شقيقتك هيلينا. فهي لا يمكن أبداً أن تكون صريحة هكذا وتطرح مثل هذا السؤال.»

فكرت فران وقد شعرت بالندم لتلبيتها هذه الدعوة، فأخفضت ناظريها إلى الأزهار التي وضعت على الطاولة، انها جاهلة غبية، بينما كانت هيلينا تتمتع بثقافة واسعة في كل الأمور. وشعرت بالجرح المؤلم وبالاهانة عندما أتى على ذكرها وقارنها بها، وتساءلت كم وكم من المطاعم الفاخرة التي على هذا النحو من الهدوء كان قد تناول العشاء معها؟

قالت فران عند ذلك: «لا تحتاج هيلينا لتطرح مثل هذا السؤال لأنها تعرف الكثير.»

أجابها جوردان بلطف: «ربما، لكن كبرياءها لا يسمح لها بأن تسأل حتى ولو انها لا تعرف عنه شيئاً، لهذا السبب أرى الفارق بينكما.»

نظرت فران إليه قائلة: «أتحاول أن تقول انني لا أتحلى بالكبرياء...»

قال: «لا أحاول ان أقول شيئاً من ذلك، انما الذي أردت ان أقوله ولم أنجح في طرحه، هو انك صادقة لأبعد الحدود. فانت لا تعرفين شيئاً عن ذلك الطبق ومع ذلك كنت صريحة وسألت عنه.»

تمتمت قائلة: «كان ذلك غباء مني.»

وأخذ ينظر إليها وهي تخفي يديها الاثنتين تحت الطاولة، ثم هزّ كتفيه دون مبالاة قائلاً: «حسناً، كان ذلك غباء منك، وهذا يعجبني.»

شعرت ببريق المرح في عينيه واستراحت لذلك. أما ما

كان يشغل بالها الآن ويزيد الحنين إلى قلبها، هو اعترافه بأن ذلك كان غباء منه. فضغطت على أصابع يدها بشدة تحاول أن تطرد تلك الأفكار التي تدور في رأسها.

«كان روسيني والطباخ الفرنسي أوغوست اسكوفر صديقين، فابتدأ هذا الأخير بإعداد طبق على شرف روسيني، مكوّن من الدجاج بصلصة فريدة من نوعها. فهل ترغبين في أن تغيّري طلبك؟»

ابتسمت رافضة بحركة من رأسها ثم قالت: «يبدو لي شهياً، انما أفضل ان ابقى على اختياري الأول.»

أجابها بينما كان النادل يسكب في كوبيهما، العصير البارد: «إذا أردت، يمكنك ان تطلبيه في المرة القادمة.»

تساءلت فران هل سيكون هناك مرة قادمة، أم هل هذا ما يقوله الناس عادة في لحظات كهذه؟ ان أحاديث كهذه لهي هوائية ولا تعني شيئاً. فكرت وقد شعرت بخيبة أمل بينما كانت تنظر إليه وهو مشغول عنها يتطلع إلى جماعة تهمّ بالخروج من المطعم، لقد كان يبدو عليه الارتياح والبهجة، فعلى فران في مثل هذه الحال، أن تهنىء نفسها لأنها جعلته هكذا منشرحاً، لا سيما وانها هي التي أوصلت له تلك الوثائق والاسطوانات للمؤتمر الذي سيعقده غداً وفي الوقت المناسب.

عاد ينظر اليها والتقت نظراتهما وتبادلا الابتسام، ولكنه سرعان ما عاد ليحوّل نظره عنها.

تناول بعد ذلك جرعة من عصيره، وقال: «اخبريني المزيد عن حالك وأحوالك.»

فكرت فران بيأس من صعوبة هذا الموقف الذي كان

أسوأ مما تتوقع. انها تكلمه ويكلمها بصورة رسمية وكأن هيلينا تقف عائقاً بينهما، وتساءلت كيف يمكنها أن تهدّىء من نفسها كي تتمتع بهذه الجلسة، وهي تعلم حق العلم انه لولا الصدفة التي توافرت لها، لكانت شقيقتها هي التي تجلس أمامه الآن وليست هي.

هزت بكتفيها النحيلتين بلا مبالاة وأجابت: «انك تعرف تقريباً كل شيء عني، فأنا أبيع لوحات الرسم في النهار وأعمل في مطعم في الليل.»

«هل لديك صديق؟»

ابتسمت فران لسؤاله وقالت: «ألا ترى انني لا أملك الوقت الكافي لذلك؟»

«لماذا إذاً ترهقين نفسك كل هذا الارهاق؟»

نظرت إليه وقالت بصدق: «لقد اعتنيت بوالدي المريض لمدة سنتين. كنت أحبه كثيراً، ولكنني شعرت بتلك السنتين وكأنها عشر سنوات.» طأطأ برأسه وكأنه عرف تماماً ماذا تقصد بكلامها، أما هي فتابعت تقول: «وتراني الآن أحاول ان استعيض عمّا فاتني. وبدأت أعرف الكثير عن شؤون هذه الحياة وبالتالي عن نفسي.»

سألها عند ذلك: «وهل أنت بحاجة لأن تقومي بعملين مختلفين لتتعرفي إلى ذلك؟»

«كما انني أريد ان أستقل بحياتي عن هيلينا.» قالت له ذلك متسائلة بينها وبين نفسها، هل كان من الضروري ان تقول له كل ذلك في ظل الظروف التي جمعتهما؟ ثم تابعت: «كنت ملتحقة بمعهد للرسم قبل مرض والدي، لكنني، ويا للأسف، لم استطع ان أكمل تلك الدروس. لقد كنت قليلة

الادراك حينها ولا أقوى على القيام بأي شيء معين، لذا فكرت ان الحل الوحيد لمشكلتي هي في ان انتقل إلى لندن حيث هناك مجالات العمل واسعة ومتنوعة. ولكن شيئاً لم يتغير، مع انني حاولت الالتحاق ببعض الشركات الفنية، لكنه رفض طلبي لقلة خبرتي ومؤهلاتي في هذا المجال. فاضطررت لأن أشتغل في مكانين مختلفين كي أحصل منهما على المال الكافي لاستئجار شقة تكون محترفي الفني في الوقت نفسه ويمكنني عند ذلك ان ارسم لوحات عديدة أشقّ بها طريقي الجديدة في هذه الحياة.»

قال لها عند ذلك بهدوء: «بامكاني ان أفهم وأقدّر ذلك.»

«هل بامكانك فعلاً؟» سألته باهتمام، بينما في قرارة نفسها لم تصدّق ذلك منه، فرجل مثله بثرائه لا يهتم بتقدير وتفهم مثل هذه الأمور.

استوى في مقعده ثم قال: «لقد استغنيت أنا أيضاً عمّا كنت أهوى وأحب من أجل والدي.»

اتسعت عينا فران بدهشة وهي تقول: «ماذا تقصد بذلك؟»

أجابها بهدوء: «أقصد انني استغنيت عن مهنة درستها، فقد كنت طبيباً...»

قاطعته فران قائلة بصوت مخنوق: «كنت! تعني انهم قد طردوك من العمل؟» وأخذ رأسها يلف ويدور تفكّر بالعمل المشين الذي كان قد قام به حتى أوقفوه عن ممارسة عمله كطبيب.

ضحك ثم قال: «كم أنت خيالية. كلا، فانا لم أطرد من مهنتي، انما تخليت عنها بملء ارادتي لأقوم واستمر بعمل والدي.»

«تخليت عن كل دراستك وتجاربك ومهنتك في هذه الحياة لتبيع الأدوية؟»

أجابها مبتسماً وعيناه تشعّان بالعاطفة: «انك تجعلين الأمر يبدو وكانني طرحت تجارتي للبيع في الأسواق الشعبية، لكنني أفهم جيداً ماذا تقصدين. وسأخبرك عن سبب تحولي هذا، لقد أصيب والدي بداء الفالج ولم يعد قادراً على متابعة ادارته للشركة، لذا اضطررت عند ذلك ان أتخلى عن مهنتي من أجله، فأحياناً كثيرة يكون من الواجب عليك ان تقومي بالتضحية لمن تحبين. ثم توفي العام الماضي وأصبحت حرّاً الآن مثلك.»

شعرت فران بعد الذي تفوّه به جوردان براحة نفسية لا توصف، وقد أصبح من السهل عليها الآن ان تتكلم عن والدها مع شخص يقدّر مشاعرها المتشابكة بين الذنب والندم والخسارة. وخيم عليهما بعد ذلك جو من الدفء والانسجام وهما يتناولان الطعام الفرنسي الشهي.

وعندما خرجا من المطعم، وضع معطفه على كتفيها ليقيها من البرد وسارا على ضفاف نهر السين.

ثم سألها عندما توقفا فوق الجسر وقد سرح نظره على طول امتداد النهر: «هل تشعرين بالتعب؟» وكان ضوء القمر وأنوار مصابيح الشوارع في تلك الأثناء تنعكس متلألئة فوق مياه النهر بروعة وجلال، فطبعت فران ذلك المشهد الفريد في ذاكرتها كي ترسمه على احدى لوحاتها، وكيف يمكنها ان تنسى هذه الوقفة الشاعرية مع جوردان والتي ستبقى في مخيلتها إلى الأبد؟

أجابته فران: «كنت كذلك في وقت مبكر قبل الآن، لكن

هواء الليل العليل نشّطني وأعاد إليّ حيويتي. على فكرة، ماذا يدور في رأسك؟» سألته بصراحة وقد اعتقدت بأنه سيأخذها إلى مكان راقص، وكأنما هذه الفكرة وضعتها في عالم الأحلام.

نظر إلى ساعة يده ثم قال: «كان لدي موعد قبل قليل من الآن وقد فوّته عليّ، لكنني اعتقد انه ما زال هناك فرصة...»

توقف فجأة عن كلامه متنهداً بعمق، ثم نظر إليها وهي تلتف بمعطفه، فحوّلت نظرها إليه لتسمعه يقول لها بهمس: «انك في غاية الجمال.»

غمرتها سعادة عامرة تأكدت فيها انها ليست في عالم الأحلام بل هي تعيش حقيقة رائعة وعذبة. فنظرت في عينيه وحاولت فران ان تقرأ ما يجول فيهما، لكنها لم تستطع.

أمسك بيدها بعد ذلك وقال لها: «هيا، فإن أسرعنا قد نتمكن من انجاز ذلك الموعد.» وحثّها لتسرع الخطى في الشوارع الضيقة مبتعدين عن ضفاف النهر وعن القمر والنجوم التي كانت تتلألأ عالياً فوقهما.

ضحكت فران فجأة وهي تحاول جاهدة ان تبقي خطواتها سريعة لتتمكن من اللحاق به، فضحك هو الآخر وخفّف من سرعة خطواته.

«جوردان، إلى أين نحن ذاهبان؟» سألته فران وقد تفوّهت باسمه الأول لأول مرة منذ ان تعرفت عليه.

التفت نحوها فجأة وقال: «إلى معرض للرسم. يمكنك تسمية ذلك، متابعة للعمل في أوقات الفراغ... فهل تمانعين؟»

«في هذا الوقت من الليل؟ قد يكون مقفلاً.»

«باريس لا تقفل محلاتها لا ليلاً ولا نهاراً.» قال ذلك، وتوقف في شارع أوسع وأكثر انارة من تلك الشوارع الضيقة التي كانا يمشيان فيها. ثم قال فجأة باهتمام: «فران، لا بدّ وانك متعبة الآن، أتفضلين ان أعيدك إلى الفندق؟ فبامكاننا ان نقوم بذلك في يوم آخر.»

هزت برأسها نافية ثم قالت: «أريد رؤية كل شيء.» فلو كانت صادقة معه ومع نفسها، لكانت اعترفت بأنها منهكة من التعب، لكنها لم تكن تريد ان تضع نهاية لهذه الأمسية معه. وتابعت تقول: «ان هذه الزيارة ستمنحني الفرصة لأتعرف على الفن الفرنسي.»

أمسك يدها وقطعا معاً الطريق نحو معرض دلفين.

وحالما دخلا من الباب الزجاجي للمعرض، خيم عليهما صمت مبجّل، فالرسومات المعروضة كانت رائعة، وأحست فران ببهجة وهي توزّع نظراتها على الرسومات المائية والزيتية.

«آه، جوردان.» قالت بصوت مخنوق وتقدمت نحو لوحة مائية لشجرة تفاح تساقطت ثمارها على الأرض ومن ورائها قصر قديم أرسل القشعريرة في النفس. ثم تابعت تقول: «انها لوحة رائعة، بامكانك ان تشمّ رائحة ثمار التفاح الناضجة التي تساقطت على الأرض بسبب الرياح.»

وقف إلى جانبها يتأمل معها تلك اللوحة الرائعة وقال: «انها من النوع الذي اعتقدت بأنها ستعجبك لأنها تشبهك من نواحٍ عديدة.»

تعالى من ورائهما في تلك اللحظة صوت هاتف: «جوردان! لقد تأخرت ساعتين، ولكنني كنت متأكدة بأنك ستحضر.»

التفتا نحو مصدر الصوت وأسرع جوردان ليسلّم على

السيدة التي برقت عيناها بابتهاج لرؤية جوردان، وشحب وجهها وبشكل ملحوظ عندما قدمها إلى فران، ثم قال لها: «ستيلا، آسف لتأخري، انما كنت ملتزماً بموعدي معك.»

مدّت فران يدها بأدب لتسلم على السيدة، لاحظت انها بنفس عمر شقيقتها تقريباً وبأن فيهما شيئاً متشابهاً، وهو انجذابهما لجوردان باري.

«يسرني ان التقي بك.» قالت ستيلا ذلك، لكن فران شعرت انها قالت عكس ما تظهره.

كانت ستيلا تتأنق بملابس جميلة، وأدركت فران انها فعلت كل ذلك من أجل جوردان. تساءلت فران لماذا تبدلت نظراتها بهذه السرعة عندما وقع بصرها عليها؟ فمن المؤكد ان تلك السيدة الرائعة كانت تتوقع رؤية جوردان بمفرده. وشعرت فران فجأة بالغضب في داخلها عندما لاحظت ان السيدة تحاول ان تبعدها عن جوردان، ولقد شعرت أيضاً بأنها ليست مرغوباً فيها في هذا المكان عندما قالت ستيلا: «فران، أريد ان أتباحث على انفراد مع جوردان في بعض الشؤون، فلو انك تستعرضين تلك اللوحات في القسم الخلفي للمعرض في هذا الوقت، انها تناسب ذوقك تماماً.»

انها نسخة طبق الأصل عن شقيقتها هيلينا، فكرت فران بعصبية وهي تبتعد عنهما.

تكلم جوردان عند ذلك فقال: «أرغب في استشارة فران بخصوص اللوحات التي سأشتريها يا ستيلا.» شعرت فران بعدما قال ذلك أن قلبها سيهوي من مكانه وودّت لو انها تتمكن من ان تعبّر عن شكرها له.

تبدلت ملامح ستيلا بينما كانت تنظر إلى فران باستسلام، ثم مشت أمامهما إلى المكتب الضيق المساحة، وتمنت فران في قرارة نفسها لو ان جوردان لم يأتِ بها إلى هذا المكان.

كانت اللوحات الثلاث التي اشتراها جوردان جميلة، فاثنتان منهما كانتا لمشهدين مستوحيين من الطبيعة الريفية، واللوحة الثالثة، تساقط لأوراق وثمار فصل الخريف على طاولة قديمة شوّه خشبها بسبب تسلط أشعة الشمس عليها. وقد كانت تلك اللوحات الثلاث من النوع التقليدي غير المتجدّد، لكنها ومع كل ذلك، جميلة وتشدّ المشاهد إليها.

«انها جميلة يا جوردان.» قالت فران ذلك بينما كانت ستيلا تحضر أكواب العصير المنعش.

«في أي منزل ستعلّقها يا جوردان؟» سألته ستيلا ذلك وهي تسكب العصير في الأكواب الثلاثة بيد مرتجفة مما ادى إلى تساقط بعض العصير منه على الطاولة، ثم تابعت قائلة: «في ايتون سكوار، أم في مونت كارلو، أم في...»

قرّرت فران ان تخرج في هذه اللحظة من ذلك المكتب الذي لا يتسع سوى لاثنين فقط وأخذت تتجوّل في المكان الخلفي للمعرض حيث أشارت إليها ستيلا بأن اللوحات هناك تناسب ذوقها. شعرت بالقرف من تلك اللوحات المعلقة على الجدران ووجدتها بأنها رسومات تجريدية بشعة وقد رسمت بألوان رخيصة وكأنما الذي رسمها كان في عجلة من أمره.

شعرت بالعزلة بينما كان يتناهى إلى سمعها تمتمات

جوردان وضحكات ستيلا العالية. ثم سمعته يشكرها لمساعدتها، فاستخلصت من نبرة صوته بأن العمل انتهى بينهما وانه قد آن الأوان له لكي يغادر ذلك المكان، لكن ستيلا أصرت عليه بالبقاء قليلاً، فتمتم جوردان موافقاً على طلبها.

خرجت ستيلا عند ذلك من المكتب لتقف إلى جانب فران قائلة لها: «لقد فكرت بأن هذه اللوحات ستنال اعجابك.»

«ان من ينظر إلى وجه فران، يدرك تماماً بأنها لم تنل اعجابها.» قال جوردان لستيلا ذلك وقد لمعت في عينيه سخرية ظاهرة. فتوجهت فران إلى داخل المكتب ونظرت إليه بغضب وكأنما تقول له إن بإمكانها أن تعبّر عن رأيها في ما لو اتيحت لها الفرصة لذلك.

تابع جوردان يقول لستيلا بأن فران تعمل في معرض للرسم في لندن وبأنها فنانة بارعة. تذكرت فران كيف كان ينظر إلى الرسم الأولي الذي رسمته للشارع الذي يظهر من نافذة غرفتها في الفندق.

ثم تقدمت فران نحو لوحة تجريدية مربعة الشكل وظهرت على وجهها الدهشة وهي تقول: «انها تخصّ لافاراج.»

سألتها ستيلا بدهشة: «هل تعرفينه؟»

«نعم، أعرفه جيداً. فلقد كنت أدرس واياه في نفس معهد الرسم... نعم ولقد توفي شقيقه بطريقة مأساوية جداً في حادث اصطدام بمركبه في جنوب فرنسا، فترك لافاراج بريطانيا فوراً بعد ذلك ولم نعد على اتصال ببعضنا منذ ذلك الوقت.»

أخذت تحدّق باللوحة التي كانت تتميز عن الأخريات

بأنها من أعمال لافاراج. لقد كان يرسم بطريقة تنبض بالحياة، لكن هذه اللوحة كانت لا شيء بالنسبة لما كان يرسم في السابق. وتساءلت إلى أية درجة كان قد تأثر بوفاة شقيقه كي تؤثر بهذا الشكل الظاهر على رسوماته؟

جاء أثناء ذلك اقتراح مفاجيء من ستيلا: «لقد بعت العديد من لوحاته، كما انني سأحصل على المزيد منه غداً، فما رأيك لو تأتين معي؟»

تفاجأت فران باقتراح ستيلا المحبب لها، فاستدارت بسرعة نحوها قائلة:

«آه عذراً، لا يمكنني...» ثم توقفت عن الكلام لتنظر إلى جوردان تستنجد به، وبدت عينا هذا الأخير خالية من أي تعبير.

«اخبرني جوردان بأنك ستساعدينه في مؤتمره، ولكن من المؤكد بأنه سيسمح لك بساعات قليلة، وسآمر لأصطحبك من الفندق.» وابتسمت ستيلا بعذوبة لجوردان ففهمت فران ما يجول في رأسها. لقد انتهى العمل بينها وبين جوردان، وفي الواقع لا نية لها في أن تدعه يفلت من بين يديها، فرأت ان خير وسيلة لتبقى على اتصال به، أن تكون على علاقة مع فران.

«لا، لا اعتقد انه...»

«لن أرضى أبداً بذلك، وسوف أتصل بك صباح يوم الغد لأجل تحديد الموعد.»

حولت فران نظرها إلى جوردان بيأس وكأنما تتوقع منه أن يعترض على اقتراح ستيلا، لكنها وجدته ثابت الملامح وكأن الأمر لا يعنيه. ألم يلاحظ يا ترى بأنها لا تريد أي

تورط بين ستيلا وصديقها الرسام؟ وعضت فران على شفتها السفلى بمرارة وفهمت ان الأمر لا يهمه لا من قريب ولا من بعيد.

فنظرت إليه بتحدٍ بعينيها الخضراوين وقالت: «حسناً، إذا كان لا مانع عند جوردان، يسعدني جداً أن أرافقك لرؤية جان كلود بعد مرور تلك السنوات.» وجاءت نبرة صوتها متحدية تماماً مثل نظراتها.

ودّعا ستيلا بعد ذلك وسارا باتجاه موقف لسيارات الأجرة. ثم قال لها بخشونة: «إذاً الآنسة البريئة وذات العينين الواسعتين تتخبأ في ثوبها كما يقولون.»

صعقت فران من كلامه، لكنها أدركت بعد لحظة وجيزة ما كان يقصده. فقالت له: «تعني بكلامك جان كلود؟ وهل تعتقد بأنه كان هناك شيئاً ما بيننا؟ لقد كنّا زملاء في نفس المدرسة وهذا كل ما في الأمر. ماذا عنك وعن ستيلا؟ يبدو لي انكما قريبان كثيراً من بعضكما البعض.» ولم تأتِ على ذكر هيلينا لأن ذلك سيكون أمراً مزعجاً لها.

ولتعاسة فران، ابتسم جوردان بلطف ثم قال: «هل أزعجك ما قلته؟ أتدرين، لقد اعتقدت عندما التقيت بك لساعات مضت انك لست سوى فتاة يائسة لا تدرك من أمور الحياة شيئاً. لكنني اكتشفت الآن انك فتاة عذبة وطيبة ومتمسكة بالتقاليد القديمة. فهل تحضنين الوسادة عندما تاوين إلى الفراش في الليل وتحلمين بيوم الزفاف الأبيض؟»

لازمت فران الصمت وهي لا تدري لماذا أخذ يسخر منها فجأة وبطريقة قاسية أيضاً.

لكنها همست أخيراً بألم: «لا، لا. أنا لا أفعل ذلك. ولكن، لنفترض انني أفعل هذا، فهل هو أمر معيب؟»

هزّ بكتفيه غير مبالٍ وبدت ملامح وجهه ثابتة وهو يقول: «لا. أبداً.»

خيّم عليهما الصمت إلى ان وصلا إلى موقف لسيارات الأجرة. جلست فران في المقعد الخلفي باعياء، فهي لم تشعر بمثل هذا التعب قبل اليوم. لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً وليلة مربكة ورديئة نوعاً ما في ذلك المعرض. أغمضت عينيها باسترخاء مانعة نفسها من التفكير بستيلا ولعبتها الرخيصة لتبقى على اتصال بجوردان، لكن خيال شقيقتها هيلينا لم يبرح ولا مرة مخيلتها وأفكارها المشوّهة.

كان جوردان في تلك الأثناء يلفها بذراعه، اضطربت وفتحت عينيها تحاول الابتعاد عنه، لكنه أمسكها بقوة وقال: «اهدئي.»

فقالت له بصوت مرتجف: «تقول لي اهدئي! كيف تجرؤ على ذلك وأنا نائمة... لماذا... لماذا أنت قبيح بهذا الشكل!»

«لا تقولي انك كنت نائمة ولم تعلمي ما كنت أحاول أن أقوم به أيتها الآنسة المغفلة.»

صرخت فران بسخط بينما كان يمسك بها بقوة: «أنت هو المغفل، وكنت أعني فعلاً ما قلته لك بأنك قبيح، لا بل رديء أيضاً! والآن اترك يديّ ودعني أخرج من هذه السيارة!»

وتمكنت وبقوة عجيبة أن تدفعه بعيداً عنها بينما كان السائق يوقف سيارته أمام فندق كليرمونت، ففتحت باب السيارة بعنف وداست على قدمه بكعبها العالي، ثم أخذت تجري بترنح تاركة جوردان يتأوه متألماً وهو يتحسس قدمه.

وقالت بحدة: «اياك ان تحاول ملاطفتي واستمالتي إليك، فأنا لن اسمح ان أكون بين ذراعيك وبهذه السهولة. وتذكر انني لست هيلينا! كما انك كنت على حق عندما قلت انني أحلم بيوم الزفاف الأبيض!»

وصعدت درجات الفندق بأنفة وكبرياء لتختفي في داخله، وقد فاتها نداء جوردان الذي قال لها عبر أثير ليل باريس: «حسناً، تزوجينني إذاً.»

الفصل الرابع

نشف جوردان وجهه بالمنشفة وغسل آلة الحلاقة، ثم أخذ يتأمل وجهه في المرآة، فتراءى له فيها صورة لرجل غبي.

وتكلم مع نفسه قائلاً: لا بد انك فقدت عقلك. ثم اغمض عينيه ليستعيد ما حدث معه في الليلة الماضية وبالأخص عندما عرض على فتاة ان تتزوجه وهو بالكاد يعرفها. وشكر حظه لأنها لم تسمعه فهو يكفيه ما فيه من مشاكل لغاية الآن. وعندما فتح عينيه، كان قد توصل إلى أمر واحد وهو: يجب ان ترحل حالاً وسريعاً.

خرج من الحمام فوجد مساعده يجلس إلى طاولة المكتب يراجع بعض الأوراق، فحياه قائلاً: «صباح الخير يا سيلاس.»

نظر إليه سيلاس وأشار باصبعه إلى ابريق القهوة على الطاولة، ثم قال: «صباح الخير يا جوردان، كيف حالك اليوم... متوتر؟»

سكب جوردان لنفسه فنجاناً من القهوة وحمله إلى النافذة التي تطل على نفس الشارع التي تطل منه نافذة فران، ثم اخذ يشرب القهوة على مهل.

اجاب جوردان بعد قليل: «متوتر؟ ولماذا التوتر؟»

نظر سيلاس إليه بفضول ثم هز كتفيه غير مبالٍ وتابع عمله قائلاً: «وصلت الاسطوانات كاملة وكذلك الأوراق. لقد

راجعتها ليلة البارحة بعد خروجك. وقد قامت هيلينا بعمل جيد بعد ان تعطل جهاز الكومبيوتر، وقد كانت مجازفة منها عندما ارسلتها لنا مع شقيقتها، فلو فقدت...» ولم يكمل كلامه لأن كلاهما يعلم ما قد يحصل. ثم قال متذكراً لأمر ما: «بالمناسبة، صف شكلها؟»

أجاب جوردان بشرود: «من؟»

«شقيقتها، اهي جميلة مثل هيلينا؟»

كاد جوردان ان يطلب منه ان يكف عن هذا الحديث لأنه ليس من مجال للمقارنة بين الاثنتين. فهيلينا امرأة مملوءة بالحيوية وبعذوبة مثل زهرة الربيع، بينما فران صعبة المراس وجمالها جامد، اشبه بعارضات الأزياء اللواتي تنشر صورهم على غلاف المجلات. وضع فنجان القهوة على الطاولة بعصبية وكأنه يصر بشدة على رحيلها.

قال سيلاس عند ذلك مبتسماً: «انني اتشوق لرؤيتها.»

اجابه جوردان بحدة: «لن يتم لك ذلك، لأنها ستسافر اليوم.»

تفاجأ سيلاس: «ولكنك قلت لي ليلة البارحة بأنها وافقت على البقاء معنا من أجل المؤتمر، فما الذي غير رأيها؟»

«أنا من غيّر رأيه وليست هي، وذلك لأنها غير مناسبة للمهمة التي سأكلفها بها لصغر سنها.»

توقف سيلاس عن متابعة هذا الموضوع، فهناك الكثير من الأعمال المستعجلة بانتظارهما. وازاح مجموعة من الأوراق إلى جانب من طاولة المكتب بينما كان جوردان يتقدم إليه.

«لقد حجز بيتر برابن غرفة في هذا الفندق وسيشترك في

المؤتمر.» قال سيلاس لجوردان الذي ابتسم للمرة الأولى منذ صباح هذا اليوم وقد بدا عليه الرضى التام.

«انه الرجل الذي نحتاج إليه، فارجو منك ان تحدد لي معه لقاءات خاصة.»

لقد كان برابن المدير المالي ليونيمات، وهي واحدة من افضل الجماعات التي تدير وتنظم الشركات في العالم والتي تتطابق مع شروط جوردان. إذن، ان ينجح هذا الدواء الهرموني الجديد، وأن يحظى باستحسان النقاد من اجل كل هؤلاء العمال الذين عملوا بجد وتفان لأجل انجازه، انما عليه اولاً ان يتخلص من فران.

استيقظت فران على طرق شديد ومتواصل على باب غرفتها. لم تدر في البداية اين هي من شدة الإرهاق والتعب اللذين حلا بها طوال نهار امس وليله. وبعد قليل عادت الذكرى إلى رأسها مجتمعة وتذكرت... كل شيء!

أخذت تتحرك بتكاسل في سريرها، متسائلة من قد يكون الطارق، هل يا ترى هو الخادم قادم اليها بفطور الصباح؟ وبعينين متثاقلتين من النعاس، نظرت إلى الساعة التي إلى جانب سريرها فوجدت انها ما تزال الساعة السابعة، لكنها شعرت وكأنها في منتصف الليل لشدة نعاسها.

أجابت عند ذلك بصوت عالٍ عندما استمر الطرق على الباب وكأنما الطارق نفد صبره وقالت: «لحظة من فضلك.» وقامت من السرير ومشت بخطوات متثاقلة وقد تحضرت لتقول للخادم بأنه ارتكب خطأً، لأنها كانت قد طلبت فطور الصباح ان يصلها في الساعة التاسعة وليس في السابعة.

وعندما فتحت باب الغرفة، وجدت جوردان امامها

فقالت متثائبة: «آه، هذا انت... لماذا تنظر إليّ بهذا الشكل؟»

اجابها جوردان بلهجة آمرة عندما دخل إلى الغرفة: «ارتدي شيئاً فوق ملابس النوم هذه... فماذا لو كنت الخادم؟»

تناولت رداء وارتدته وبدا غير مناسب بالمقارنة مع ما كان يرتديه هو من ملابس انيقة. لكن هذا لا يهمها، فإنها ليست بصدد ان تؤثر عليه.

«هل جئت لتعتذر عما بدر منك ليلة البارحة في سيارة الأجرة؟» سألته بصراحة وكأنه لا يوجد سبب آخر يدعوه للقدوم اليها في مثل هذا الوقت الباكر.

«اعتذر؟ أنا قادم لأعطيك ما كنت تصرخين بالحاح كي اعيده إليك.»

كان امام فران خياران، الخيار الأول في ان تتجاهل ما قاله، والخيار الثاني في ان تصفعه على وجهه للاهانة التي وجهها اليها. لكنها لمحت في يده مغلفاً اسمر واقشعر بدنها منه.

«ما هذا؟» سألته وقد شعرت بخوف في قلبها لأنها كانت تعي جيداً ما قد يكون.

وضع جوردان المغلف على السرير قائلاً: «ان في داخل هذا المغلف حريتك.»

اتسعت عينا فران وهي لا تصدق ما ظهر على وجهه من برودة وعدم اهتمام ثم قالت: «حريتي؟ لا افهم ماذا تقصد؟»

«ان في داخله جواز سفرك ومالك، بإمكانك الآن ان تسافري في اول رحلة إلى بريطانيا.»

شعرت فران انها بحاجة للجلوس ولكن قدميها لم تتزحزحا من مكانهما. ووقفت مكانها بلا حراك وهي لا تدري ماذا تقول أو تفعل. انه يطلب منها السفر وهذه المبادرة جعلتها تشعر بالغثيان.

«ولكنك البارحة طلبت مني بعناد وتصميم لكي ابقى واساعدك. فما الذي طرأ فجأة؟» الحت فران بمعرفة السبب وعلى عينيها غشاوة بريئة.

التفت جوردان إلى البعيد، فهو لا يستطيع النظر طويلاً في عينيها الجميلتين. ورأى انه من الأفضل له ان يتوجه إلى النافذة، ولكنها اسرعت تمسك بكم سترته قبل ان يصل اليها.

وقالت له بصوت اجش: «لماذا يا جوردان؟»

اخذ نفساً عميقاً وهو مايزال لا يستطيع ان ينظر في عينيها ثم قال: «لأنك لست مؤهلة لهذا العمل ولا يناسبك، وقد كنت محقة عندما قلت لي ذلك في البداية. إن عملك معي في الوقت الحاضر مجازفة انا في غنى عنها، لأنك تتصرفين بغباء قد ينعكس عليّ ايضاً.» وبدأ يتحرك نحو الباب، فأسرعت فران ووقفت لتكون حاجزاً تمنعه من التقدم اكثر.

وانفجرت بغضب: «لا، لن تخرج على هذا الشكل! هل لمست الغباء في تصرفي معك ليلة أمس في المطعم؟ أعرف تماماً بأنني صريحة بكلامي في بعض الأحيان، لكنني اعرف متى يجب أن أقف عند حدودي، كما انني أعمل في أرقى المعارض مقاماً وما كنت لأستمر فيه لو انني غير لبقة بتصرفي مع الزبائن... وكذلك الأمر في عملي الليلي في المطعم.»

وتوقفت فجأة عن الكلام تلهث، متسائلة لماذا تحاول ان تبرىء نفسها بينما كان غاية مطلبها في البداية ان تحصل على جواز سفرها وتعود بواسطته إلى وطنها؟

ابتعدت عنه وقد اصطدمت بالحقيقة العارية وهي عدم رغبتها بالسفر والعودة إلى وطنها، بل أن تبقى هنا في باريس ومعه. وقفت إلى الحائط وكأنها طفلة تتلقى عقابها، وشدت بذراعيها إلى نفسها كأنها تحاول ان تقتل الألم الذي في داخلها.

«من الأفضل لك ان تخرج من هذه الغرفة باسرع ما يمكن قبل ان افقد اعصابي.» قالت له ذلك متهددة بثورة جامحة.

لم يتكلم الا بعد ان مر عليهما وقت طويل، كانت فران خلاله تحاول بيأس تهدئة اعصابها من العوامل الجديدة التي انتابتها.

«وضعت في الظرف مبلغاً اضافياً، انها دفعة صغيرة...»

استدارت نحوه غاضبة وقالت بألم: «كل ذلك من اجل ما حدث في سيارة الأجرة؟ يا لك من... من حقير. اعرف الآن لماذا تريدني ان اسافر، فقد كان يختلف الأمر لو انني بادلتك ما كنت تريده مني، اليس كذلك؟»

صاح منذراً بصوت عالٍ: «فران!»

«لا تنادني بفران من فضلك... واؤكد بأنك لما اردت التخلص مني لو انني...»

ولم تدرك بأنه قد اصبح قريباً منها عندما امسك بكتفيها وهزهما بقسوة قائلاً: «تملكين افكاراً بغيضة لا تتناسب مع وجهك البريء يا فران كاين. انك تستحقين الجلد بالسوط

لعبارتك هذه. وصدقيني انني لست بحاجة لأن ادفع المال لأجل اية خدمة تسدى إليّ.»

«ما من شك في ذلك، لأنها تصلك على طبق من فضة... اتركني. انك تؤلمني!»

أجابها بغضب: «ان بعض الرجال يرتكبون جريمة لأجل ما قلته... والآن اعتذري مني للاتهام الفظيع الذي اتهمتني به.» واخذ يضغط على كتفيها بقوة، وادركت فران ان جوردان رجل يخلو من المشاعر والاحاسيس.

فأسرعت تقول له: «حسناً، انني آسفة.»

حررها من قبضته ودفع بها إلى الوراء بقوة، ووقفت فران تتلمس كتفيها المتألمتين وقد هالها هذا التصرف القاسي معها.

تمتمت بعد ذلك بكآبة: «مما لا شك فيه، انك لا تعرف مدى قوتك.»

«من الذي يحاول استجداء العاطفة الآن؟» ثم رفع سماعة الهاتف وطلب فنجانين من القهوة.

فقالت له: «انني لا اتوقع قدوم احد.»

أجابها بحنق: «اخرسي يا فران. لقد مللت منك ومن كلامك.» ثم أخذ يحك فروة رأسه وتابع يقول: «آسف إن كنت قد سببت لك الألم الآن، وآسف مرة اخرى لما بدر مني ليلة البارحة وما كان علي ان اقوم بذلك.»

شعرت فران حالا بزوال الغضب والثورة عنها وكادت تهم بالبكاء ولكنها تمكنت من السيطرة على نفسها، فعندما تصل إلى لندن سيكون لها الزمان والمكان المناسبين لتسكب فيهما دموع الحرقة والندم. كم كانت غبية وحمقاء عندما

سمحت لنفسها في الاستسلام لهذا الرجل الذي لا يهمه امرها ولا بشكل من الاشكال.

تناولت بعد ذلك المغلف عن السرير وتفحصت محتوياته، إلى ان عثرت على الأوراق المالية الفرنسية ففصلتها عن اشيائها، ثم اعادتها إليه قائلة بلطف: «لقد قمت بهذه الخدمة اكراماً لهيلينا فقط، ولا اتوقع منك اية دفعة عن ذلك.»

«خذيها.»

«لا.» صرخت بعنف ثم تابعت تقول وبصوت منخفض: «لا أريد شيئاً منك، اريد فقط ان اخرج من هنا بسرعة وحالاً.»

تقدم منها خطوة واحدة ثم قال: «اسمعي يا فران، ان المسألة ليست كما تتوهمين.»

«لا تقترب مني يا جوردان باري.» ثم جمعت جواز سفرها والمال الذي تملكه لتضعهما في حقيبة تحملها على ظهرها وتابعت تقول: «لا ادري لماذا اردت مني ان ابقى في البداية ثم عدلت عن رأيك بعد ذلك. ابهذه الطريقة تدير اعمالك؟» والتفتت لتنظر اليه، إلى الرجل الذي يرأس شركة باري للأدوية، الرجل الذي يملك الفكر والابداع والذي يقوم بقرارات مهمة في كل يوم من ايام حياته العملية، انه الرجل المميز والمميز جداً.

قالت بهدوء وقد احست انها بحاجة لتعلم الحقيقة منه: «جوردان، لماذا تغيرت فجأة؟ لقد طلبت مني ان ابقى من اجل مساعدتك وها انت الآن تقول انك اخطأت بتقديرك لي، وفي الحقيقة انا لا اصدق هذا، كما ان الأمر لا علاقة له بما جرى في سيارة الأجرة ايضاً، اليس كذلك؟»

تكلم بعد صمت عميق قائلاً: «انني في الحقيقة لم

أخطىء بتقديري لك، فإنك بصراحة فتاة ذكية.» ثم تقدم نحوها وامسك بكتفيها مجدداً، فتوترت وكأنما توقعت انه سيؤلمها مرة اخرى. ولكنه في هذه المرة كان رقيقاً وتابع يقول: «ان الأمر له علاقة اكيدة بما جرى في سيارة الأجرة.»

قالت بضعف: «ماذا تعني؟»

جذبها نحوه قائلاً: «كما تسمعين، فهل انت مستعدة لتجاريني في كل ذلك؟»

«لا افهمك.»

«هل تنكرين هذه؟» وشد من قبضته على كتفها.

ارادت الابتعاد عنه وقد حاولت ان تمنع تساقط الدموع لشدة المها وتعاستها ثم قالت: «لماذا تفعل ذلك يا جوردان؟» وتساءلت في نفسها ايكون ذلك نوع من انواع العقاب؟

اجابها بصوت اجش: «انني احاول ان اتأكد من امر، فإذا اردت البقاء في باريس، عليك ان تتقبلي مني ذلك.»

«ايها الحقير! تحاول ان تقول لي انك تبعدني عن باريس لأنك تريد المحافظة على شرفي؟ من اين جاءتك هذه الاخلاق الحسنة فجأة؟ انني اعلم بأنك صديق لشقيقتي والتي تحترم نفسها ايضاً هي الأخرى، ولكنك لا تهتم بها.»

ردد كلامها وقد علا وجهه الشك: «صديق لشقيقتك! اهذا كان سبب خوفك وترددك في سيارة الأجرة؟»

عضت فران على شفتها ولم تجب، وتمنت لو انها لم تأت على ذكر هيلينا في هذا الموضوع.

اخذ جوردان ينظر اليها والغضب يطل من عينيه الرماديتين، ثم قال: «لا علاقة لشقيقتك بنا، فإن اردت

البقاء في باريس، ستعرفين الآن ما الذي سيبدر مني.»

نظرت إليه والألم يسحق قلبها لما يفرضه عليها ثم قالت: «لا استطيع ان اقوم بذلك، اريد ان ابقى لمساعدتك، انما ليس بهذه الشروط.»

نظر اليها نظرات باردة وقال: «قلت البارحة انك لا تستطيعين البقاء وان هناك اسباب عديدة تمنعك من ذلك، ثم تسالين عن سبب تغيير رأيي، لكنني ارغب في ان اعرف السبب الذي غير رأيك انت. الأنك اكتشفت ان صديقك القديم موجود الآن في باريس، وانه قريب منك؟»

تفاجأت فران من كلامه فصفعته على وجهه صفعة قوية، لكنه لم يرمش له جفن، ثم قالت: «لا تربطني به اية صداقة وليس له اية علاقة بالذي بدل رأيي. لقد غيرت رأيي لأمر لا يمكنك معرفته ولا بعد ألف سنة. لأن شغلك الشاغل هو عملك وكيفية تطويره وتقدمه، وعلى الآخرين ان يكونوا كاداة ليحققوا لك ذلك.»

كانت تتكلم والغضب يشتعل في عينيها الجميلتين، لقد تجاوزت حدودها هذه المرة وكانت شفتيها تنطقان بكل ما تشعر به بصدق وصراحة كعادتها. لا، لم يكن لجان كلود اية علاقة لتجعلها تقرر البقاء في باريس، بل جوردان باري، ولاجله هو ارادت ان تكون هنا، ولكنه كان يريدها كلعبة يلهو بها ويتركها ساعة يشاء ولا شيء اكثر من ذلك.

سمعت طرقاً على الباب في تلك الاثناء، فأسرعت فران باتجاهه لتفتحه، كان الخادم حاملاً صينية القهوة، فدخل بها ووضعها على الطاولة قرب النافذة، ثم دفع له جوردان المال ولم يتكلم الا بعد ان اطمأن انه خرج من الغرفة.

قال بنبرة اراد فيها ان يحسم الأمر في ما بينهما: «الخيار يعود لك الآن، في ان تبقي او لا تبقي... انني فعلاً بحاجة اليك بعد المؤتمر، انما لن اتكبد تلك المصاريف التي قد تنتج باهتماماتك بذلك الفنان غير الموهوب، فأية مصاريف في هذا المجال ستكون على نفقتك الخاصة.» وعندما انهى كلامه اتجه نحو الباب وفتحه، ولكنه توقف عندما سمعها تناديه باسمه.

وسألته بصوت متردد: «هل تريدني ان ابقى؟»

احست فران بخفقان شديد في قلبها وهي تنتظر منه الرد على سؤالها، وبدا عليه وكأنما هذا السؤال يصعب الرد عليه. لكنه اجابها اخيراً مستسلماً للأمر الواقع: «نعم، اريدك ان تبقي... فالشركة مقبلة على انجازات كثيرة، وانا في حاجة إلى كل المساعدات التي استطيع الحصول عليها.» وعندما انتهى من كلامه، خرج واقفل الباب وراءه.

اخذت فران ترتجف من الصدمة إثر معاملته الباردة لها. حاولت ان تجد تفسيراً لذلك، ولكن الفرصة لم تسنح لها، فقد تعالى عند ذلك رنين الهاتف يقطع عليها اي تفكير في هذا الشأن.

وعندما رفعت سماعة الهاتف، تفاجأت بصوت شقيقتها: «آه، هيلينا! هل تتصلين من المستشفى؟» وبدا لها ان نبرة صوتها غير طبيعية لشعورها بالذنب تجاهها.

جاء صوت شقيقتها عبر الطرف الآخر من الخط قائلاً: «اخشى ان تكون الأخبار سيئة، فهناك كسر صغير في قدمي اليسرى ويجب ان تجبر هذا الصباح. يا له من امر مزعج! اسمعي، انني لن اتمكن من لقائك واصطحابك من المطار.»

«لا تقلقي يا هيلينا، فالاهم هو ان تتعافي وتستعيدي نشاطك...» وكادت ان تقول لها بأنها يمكنها ان تستقل اية سيارة اجرة في ما لو عادت، ولكن وكالعادة لم تكن هيلينا تهتم لأي عمل تقوم به فران.

«هذا ما قاله جوردان لي مساء البارحة عندما اتصلت به. وكم كان شاكراً لي لأنني ارسلتك اليه ومعك تلك الاسطوانات الهامة. وقد قلت له انني سأوافيه بأسرع ما يمكن، لكنه طمأنني بأنه قد استطاع ان يؤمن مساعدة مؤقتة.»

قاطعتها فران قائلة: «نعم، انا، ولكن...» ارادت ان تقول لها بأنها ليست راغبة بالبقاء، لكن هيلينا قاطعتها بنبرة مشككة.

«انت؟» صاحت هيلينا، فشعرت فران بقشعريرة باردة تسري في عروقها كما هي العادة في كل مرة عندما تكلمها شقيقتها بهذه النبرة. وتابعت هيلينا قائلة: «هل جوردان طلب منك ذلك؟ لا بد وانك مخطئة يا عزيزتي.»

«انني لست مخطئة ابداً، لقد طلب مني جوردان ان ابقى لأساعده بعد تلك المحاضرات.»

«لا تكوني سخيفة يا فران، فلطالما كنت تسيئين فهم الأمور، ومن المؤكد انك لم تفهمي هذه المرة ايضاً.» واخذت تثرثر حول مقدرتها ومعرفتها في مساعدة جوردان باري عندما كانت فران تقوم بالحماقات.

فثارت حمية فران وقالت: «اعتقد انه لم يخطر ببالك انه كان في إمكاني متابعة دروسي لولا انني لم اعتنِ واهتم بوالدي العاجز والمريض... لقد طلب جوردان المساعدة مني، وهو واثق بأنني قادرة على القيام بها. ولا تنسي بأنني اتكلم اللغة الفرنسية، اما انت فلا.»

انفجرت هيلينا عند ذلك ساخطة وغاضبة، الأمر الذي ابتهجت له فران، وقد وجدت سلاحاً تجابهها به وهو معرفتها للغة اضافية لا تعرفها شقيقتها. وكالعادة، اعتذرت هيلينا حالاً بعد كل ثورة كانت تصبها فوق رأس فران.

قالت فران بعد ذلك: «اسمعي يا هيلينا. انني لا استطيع القيام بهذا العمل على النحو الجيد الذي تقومين به انت، حتى ان جوردان يعترف بذلك، ولكنه يريد...» وضغطت فران بيدها على سماعة الهاتف وهي عاجزة عن الاستمرار بما ارادت ان تقوله، فهيلينا لا يمكنها ان تتصور او تصدق ما قد تم لها من احداث مع جوردان منذ وصولها إلى باريس. لم تكن هيلينا تخشى ان تخسر صديقها مع شقيقتها الصغرى، بل كانت تخشى ان تتصرف فران بغباء وطيش وقد ينعكس ذلك عليها بطريقة ما.

قالت هيلينا بعد ذلك وهي خائفة من الذي قد ينتج ويستجد من امور: «اسمعي يا فران، لا احبذ لك هذا الأمر ابداً، لأن جوردان ينشد أن يكون كل شيء متمماً في اعماله، فلو اخطأت معه بكلمة او بأي شيء آخر، فقد تتسببين في خسارة عملي معه!»

فكرت فران بالذي تقوله هيلينا في ما لو اخطأت معه بكلمة او بأي شيء آخر، وهي التي صفعته على وجهه، ووجهت إليه كلاماً ربما تقتلها من اجله.

صاحت هيلينا من الطرف الآخر للخط: «فران! فران! هل ما زلت على الخط؟»

«نعم... نعم، انني ما زلت معك.» ندمت فران لأنها تمادت

في الحديث وجعلته يصل إلى ما هو عليه الآن، فهيلينا مقتنعة الآن بأنها ستبقى لتساعد جوردان، فإذا انكرت هذا الأمر الآن، فستكون مضطرة لتشرح لها سبب ذلك الانكار.

«اسمعي، سأتصل بجوردان الآن.»

قاطعتها فران قائلة: «وما الذي ستقولينه له؟ بأن شقيقتك الصغرى غبية وغير جديرة بهذه الأمور؟ حسناً، افعلي ما يطيب لك يا هيلينا، فهذا يدل على انه لا يستطيع ان يقوم بأي قرار بنفسه، وأنا متأكدة بأنه سيقدر منك ذلك. أعرف تماماً بأنك الوحيدة والقادرة على هذا العمل، ولكنني لن أكون تلك الفتاة التي ستتسبب بخسارتك لعملك.»

قالت لها هيلينا بخشونة: «هل جننت؟»

«نعم، ربما كذلك.» اجابت فران واقفلت الخط بسرعة.

جلست بعد ذلك فترة طويلة على السرير وهي تمسك رأسها بين يديها وتحدق بأرض الغرفة. لماذا تفوهت بكل ذلك؟ لماذا حشرت نفسها بوضع لا يمكنها ان تخرج منه بسهولة؟ كان من الافضل لها لو قالت لهيلينا منذ بداية الحديث بأن لا نية لها بالبقاء. ولكنها تصرفت بصورة عكسية، لأن كبرياءها وحاجتها لتغيظ شقيقتها، كانا اقوى منها. وقد علمت هيلينا الآن بأنها ستبقى من اجل مساعدة جوردان، فلو قررت العودة إلى بريطانيا بعد ظهر هذا اليوم، فانها ستقع في سين وجيم ولن تسكت هيلينا الا متى عرفت سبب عودتها ورفضها لقبول تلك المساعدة لجوردان.

وقد يكون رد فران عند ذلك: «لأن رب عملك الكريم، يطلب مني اشياء أخرى بعد ساعات العمل، وأنا متأكدة بأنك تعرفين ما اقصد.» ارتعشت فران عندما وصلت بأفكارها

إلى هذا الحد، فبهذا قد تسبب بادخال الصدمة والطعنة إلى شقيقتها التي تهتم بجوردان الذي لم يؤكد او ينكر صداقته لها. لكن ماذا يهمها في ذلك على أية حال؟

نهضت من مكانها وتوجهت إلى النافذة لتراقب حركة المرور الناشطة في هذه الساعة مثل افكارها التي لا تعرف الهدوء والسكينة.

عادت تتذكر الشجار الذي حصل بينها وبين جوردان هذا الصباح، فتالم قلبها للشروط التي اشترطها عليها لو هي وافقت على البقاء في باريس، هل احبته لتوافق على طلبه هذا؟ ولكن هل يعقل للمرء ان يحب بهذه السرعة؟

انا لا احبه، قالت لنفسها. وتمنت لو ان هناك كتاباً يمكنها ان تشتريه والذي يطرح على القارىء اسئلة عديدة ليتعرف بواسطتها على نفسه، ولكل سؤال علامة معينة، وبعد ان تجمع كل هذه العلامات، تعرف بالتحديد ما هي شخصيتك تماماً. لكن ما هي حاجتها إلى هذه المعرفة؟ وهل سيتغير الوضع فيما لو عرفت ذلك؟

وعلق سؤال في رأسها حيرها ولم تقدر ان تجيب عليه، وهو، هل تبقى ام لا، وحاولت ان تفكر بصورة ايجابية في هذا الأمر ومن النواحي الجيدة والسيئة لبقائها في باريس.

اخذت ورقة وقلماً وبدأت بكتابة النواحي الجيدة وهي: وجودها في باريس في فصل الربيع، التسهيلات المريحة في فندق كليرمونت الأنيق والفخم، والوقت الكافي لها لرسم الخطوط الأولية لبعض اللوحات وزياراتها للمعارض الفنية. اما النواحي السيئة فكانت تشكل واحدة فقط وهي جوردان باري!

ان القرار يعود اليها في أن تبقى أو أن ترحل، لكنها تريد البقاء في باريس، لأنها مدينة احلام كل فنان، فما هي الفرص التي تتيح لها في أن تعود إلى زيارتها مرة أخرى؟ وبالأخص انها الآن توفر وتدخر المال لتستقل نهائياً عن شقيقتها، وفي السنة المقبلة سيكون معها ما يكفي لاستئجار شقة صغيرة في ضواحي لندن. انه ليس بالأمر الصعب عليها، فالصعوبة التي لا يمكنها ان تتجبنها تكمن في مشاهدتها لجوردان كل ليلة وان تتعلق به اكثر واكثر. ولكن يمكنها ايضاً ان تتعلم كيف تكرهه وتنساه في الأيام القليلة المقبلة، فكرت فران وكلها امل في تحقيق ذلك.

توجهت إلى الحمام لتأخذ حماماً دافئاً تنتعش به بعدما وصلت بأفكارها إلى هذا الحل، وقد قررت ان تبقى وستعرف كيف تسيطر على عواطفها امامه وستتسلح بالقوة ولن تظهر الضعف... وسترفض كل محاولة منه لاستمالتها إليه. واحست بعد ذلك بدوار شديد في رأسها ولم تعد تقوى على التفكير اكثر من ذلك.

بعدما انتهت من حمامها جلست إلى النافذة تشارك طيور الحمام الواقفة على حافتها، فطورها من رقائق بالجبنة. تعالى رنين الهاتف عند ذلك وكانت ستيلا على الطرف الآخر تقول لها بأنها ستكون في انتظارها بعد ساعة من الوقت في ردهة الفندق، وافقت فران دون رغبة حقيقية منها. وعادت تغرق في بحر افكارها من جديد والتي ضمت ستيلا هذه المرة والتي كانت قد نسيت وجودها تماماً.

ومع التفكير بستيلا، فكرت بجان كلود ايضاً. لم يكن جوردان مخطئاً عندما قال بأنه كان صديقاً سابقاً لها. فكما

يحدث مع العديدات من طالبات الجامعة، انجذبت فران إلى ذلك الفرنسي الساحر وهذا كل ما في الأمر ولم يتطور الأمر اكثر من ذلك. كان جان كلود يعاملها معاملته لأقربائه وقد قال لها ذات مرة بينما كان يتأمل وجهها، بأنها تملك اروع هيكل في تركيبة عظام وجهها. وبعد ذلك حصلت المأساة التي هزت عائلة لافاراج بموت شقيق جان كلود الذي عاد إلى فرنسا فوراً، ونسيت فران كل ما كان لها معه من صداقة.

لم يكن من عادة فران ان تقلب صفحات الماضي، لكن لقاءها الوشيك به جعلها تعود بالذكرى إلى ايام الدراسة حيث كانت رسوماته تثير اهتمامها. لكن اسلوبه تغير الآن، وها هي تشعر بالفضول لرؤية الجديد منه، ولم تجد من مانع في أن ترافق ستيلا إليه، وهو الذي كان في يوم من الأيام زميلاً لها على مقاعد الدراسة.

اسرعت ترتدي سروال الجينز، وسرحت شعرها الأشقر، ثم نظرت إلى ساعة يدها، فما زال لديها متسع من الوقت قبل مجيء ستيلا.

جمعت بعد ذلك الدراهم التي تركها جوردان ووضعتها في حقيبة يدها وقد قررت ان تعيدها إليه لاحقاً، لكن، وفي الوقت الحاضر، من الأفضل ان تخفيها على ان تبقيها متروكة على الطاولة.

دخلت المصعد لتنزل به إلى الجزء الأسفل من المبنى، حيث وجدت الاستعدادات للمؤتمر وقد تواجد رجال الأمن لأجل تأمين حسن سير العمل فيه، وتفاجأت فران بالحارس يقول لها: «هل تملكين إجازة مرور؟»

«آه، لا املكها... انني... انني اعمل في شركة باري

للأدوية.» وندمت على ما قالته وتمنت لو انها لم تتصرف بهذا التهور والاندفاع. ولكنها كانت تريد رؤية بداية المؤتمر الذي سيفتتحه جوردان.

سألها عند ذلك الحارس بهدوء: «هل تحملين جواز سفرك؟»

فتحت فران حقيبتها لتتأكد من وجوده ولحسن حظها كان في داخلها. فأخذ الحارس يدقق في الجواز ثم نظر في لائحة الاسماء لديه. ولدهشة فران، كان اسمها مدوناً مع الاسماء الأخرى في اسفل الصفحة. يبدو ان جوردان كان متأكداً من بقائها، فابتسم الحارس واعاد اليها الجواز واشار لها بالمرور قائلاً:

«لقد امتلأت القاعة، لكن يمكنك الوقوف في آخرها.»

دخلت فران لتستقر عيناها على الخطيب الذي كان يقف على المنصة، ولم تدرك في بداية الأمر إلى من كانت تنظر.

لقد كان رائعاً في وقفته وادائه، وقد استرعى انتباه الجميع في الكلمة التي كان يلقيها. وكانت القاعة تعج بالنساء والرجال الذين اخذوا يدونون ملاحظاتهم بانتباه واصغاء تامين، والبعض الآخر من الذين يصعب عليهم فهم اللغة، كانوا قد وضعوا سماعات الترجمة كي لا تفوتهم ولا كلمة من محاضرته.

وتذكرت هذا المحاضر الرائع، وكيف انها صفعته على وجهه واهانته، وتهيأ لها انه رجل بعيد المنال وكأنه يعيش على كوكب آخر غير هذا الكوكب.

اخذت نفساً عميقاً ثم خرجت من القاعة واستقلت المصعد إلى الطابق الأرضي ومنه إلى ردهة الفندق.

«في الحقيقة كنت اود ان ارى جوردان قبل ذهابنا.» سمعت فران صوتاً آتياً من ورائها، فالتفتت لتجد ستيلا امامها. إذاً، لم تكن فران على خطأ، فالسبب الذي دعا ستيلا لأن ترافقها إلى جان كلود، ليس سوى لأن تحظى وتستمر في رؤية جوردان.

أجابتها فران: «لا اعتقد انه يمكنك ذلك في الوقت الحاضر، لأنه قد بدأ بمحاضرته.»

لم تهتم ستيلا لذلك وقالت: «لا تقلقي، سأجتمع به عندما اعيدك إلى هذا الفندق، لقد سمعت عن وجود بعض من اللوحات الرائعة والتي قد تثير اهتمامه في...»

اخذت ستيلا تثرثر وهما خارجتان من باب الفندق بكلام لم تفقه فران منه أي معنى، ونظرت إلى السماء الرمادية ووصفت نفسها بأنها الفتاة الأشد غباءً تحت الشمس. لقد كان عليها ان تعود إلى وطنها وان لا تقنع نفسها على البقاء في باريس. لكنه فات الآوان على ذلك الآن وستواجه يوماً لا ينتهي مع ستيلا وجان كلود ولن تتمكن من التخلص منه وبعد كل ذلك ستلتقي ليلاً بجوردان.

ولحقت بستيلا إلى حيث أوقفت سيارتها على مضض منها وتمنت لو يمر سائق دراجة نارية لترمي بنفسها امامه.

الفصل الخامس

انطلقت ستيلا بسيارتها دون أن تؤمن طريقها قبل الانطلاق عادة. فأخذت السيارات تطلق أبواقها انزعاجاً منها، لكن ستيلا لم تبالِ وكأنها في عالم آخر غير هذا العالم.

وسألت فران: «قولي بصراحة، ما سبب وجودك في باريس ومع جوردان بالذات؟»

انها في الحقيقة تريد ان تعرف مدى الصداقة التي تربطها بجوردان، فأخبرتها فران بالحادث الذي ألمّ بشقيقتها هيلينا والتي طلبت منها تأمين ايصال تلك الاسطوانات لجوردان.

ومما قالته أيضاً: «كان جوردان بحاجة إلى المساعدة في الأمور الاجتماعية، أي في تسيير الحفلات التي تقام عادة بعد المحاضرات، لذا طلب مني ان ابقى لأجل هذه المهمة، وساعود إلى عملي عندما ينتهي هذا المؤتمر الطبي.»

«هذا يعني انك لا ترتبطين معه بأية صداقة؟»

لم تستطع فران ان تمنع نفسها من الابتسام، فكلام ستيلا كان يعني بأنها هي أيضاً لا تربطها به أية صداقة. فردت عليها بجواب كانت تأمل فران منه أن يرضيها ويقنعها: «انه كبير السن بالنسبة لسني.»

«عندك حق، انه من النوع الذي يهوى ويقدّر اللواتي هن أكبر سناً.»

وفكرت فران بأنها كانت تعني ذاتها هي بذلك. وأخذت ستيلا تشرح لها كيف توصلت إلى معرفة جوردان، فبعد ان تطلّقت من زوجها المحامي والفرنسي الجنسية، أحبت البقاء في فرنسا وافتتحت معرضاً لبيع لوحات الرسم. وقد تمّ التعارف بينها وبين جوردان عندما بدأ هذا الأخير بشراء اللوحات من معرضها. وكانت فران تهزّ برأسها موافقة على كلام ستيلا أحياناً، وأحياناً أخرى تعلّق بكلام قصير ومقتضب.

يبدو ان ستيلا الآن مطمئنة أكثر من جانب فران التي لن تسبّب لها عائقاً بينها وبين جوردان، لكن هذا الأمر لم يكن بعد مؤكداً تماماً لفران.

كان جان كلود يعيش في شقة صغيرة في مبنى قديم دون مصعد كهربائي في ضواحي العاصمة، فصعدتا على السلالم وحمل الهواء لهما رائحة الثوم والملفوف المسلوق، الشيء الذي أزعج فران لدرجة أنها تمنّت لو انها في مكان آخر خارج هذا المبنى.

كان جان كلود يعيش في الطابق الأعلى للمبنى، وعندما وصلتا إلى الشقة، أخذت ستيلا تطرق بعنف على الباب، لكن لم يكن هناك من مجيب، فارتاحت فران لذلك وقالت: «من المؤكد انه غير موجود يا ستيلا... فالطرقات التي تحدثينها توقظ النائم من غفوته.»

ندمت فران على التعبير الذي أطلقته في كلامها عندما فتح الباب فجأة ليظهر منه جان كلود شاحباً وهزيلاً بالنسبة للذي كانت تعرفه في السابق بمنتهى الحيوية والنشاط أيام الدراسة.

دخلتا إلى الشقة في ممر معتم كلياً فاضطرت ستيلا لتوضح له الأمر فقالت: «لقد أحضرت معي صديقة قديمة لك.»

وعندما ظهرت فران في الضوء، تعرّف جان كلود عليها وشعّت الابتسامة على وجهه.

«فران! لا أستطيع أن أصدق عينيّ! أنتِ هنا في باريس... دعيني أنظر إليك جيداً.» وأمسك بكتفيها بلطف، ومع ان فران كانت تتظاهر بالسعادة لرؤيته بعد هذا الغياب، فإنها في الوقت نفسه، شعرت باهتمام وعطف عليه لما بدا عليه من التقدم بالسن.

«تفضلا أرجوكما.»

«لقد شاهدت فران احدى لوحاتك في معرضي، فيا لها من صدفة غريبة، أليس كذلك؟ بالمناسبة، هل انتهيت من تلك الرسومات التي طلبتها منك؟ لكنني لا أعدك بأنني سأبيعها...»

أخذها جان كلود إلى طرف الغرفة حيث أوقف عدة لوحات إلى الحائط. وعندها أدركت فران سبب التعاسة والشحوب في مظهر صديقها وقد لاحظت الأثاث الفقير والرخيص لشقته والتي هي محترفه الفني في نفس الوقت، فهذا يعني أيضاً بأنه انسان مفلس ومعدم مادياً.

أخذ جان كلود يتكلم ويسأل فران بصورة متواصلة وهو منهك بتحضير القهوة بينما أخذت هي تستعرض لوحاته وتضع على حدة كل واحدة تنال اعجابها واهتمامها.

ثم قالت له: «لقد قطعت اتصالاتي بكل زملائنا عندما تركت المعهد لأعتني بوالدي المريض.»

ولاحظت حالة الفقر المدقع أيضاً في المطبخ في الأكواب والفناجين المتسخة.

أجاب جان كلود والدمع يتماوج في عينيه: «وأنا أيضاً.»

«آسفة جداً لموت شقيقك يا جان كلود، انك تركت المعهد بسرعة ولم تسمح لي الظروف لأعبر لك عن ذلك في حينه. لا شك بأنك تفتقده كثيراً.»

تظاهر بالشجاعة وبأنه قد تغلّب على هذه المحنة، فلاحظت فران انها ليست سوى تغطية لحزنه ولما كان يعتمر قلبه من اليأس والألم لفراقه، ثم قال: «انني فعلاً أفتقده، ولكن ما العمل، فالحياة ستستمر بوجوده أو بدونه... آه يا فران، انني ما زلت لا أصدق انني أراك مجدداً وكيف ان الصدفة جعلتك تلاحظين إحدى رسوماتي في معرض ستيلا.»

ضحكت فران قائلة: «انه أمر لا يصدق، أليس كذلك؟» ثم نظرت إليه بعمق وقد عادت إليها ذكرى الأيام الماضية الهنيئة، وشعورها تجاهه والأوقات التي أمضياها معاً برفقة الزملاء الآخرين.

قال لفران بعد ان أطلعته على بعض التفاصيل التي سبّبت وجودها في باريس: «إذاً أنتِ تقيمين بفندق كليرمونت العظيم، من المؤكد انك لم تحلمي بذلك مطلقاً.»

جلسا على كنبة غير مريحة وأخذا يرشفان القهوة بينما أخذت فران تتابع سرد حكايتها وكيف وصلت إلى باريس: «فلولا الحادث الذي ألمّ بشقيقتي، لما كنت وجدتني في هذا المكان.»

وفي سياق الحديث، أخذ جان كلود يشعر أكثر بأن

شكوك فران أصبحت أكيدة. فهذا التغيير الذي أصابه كأنه تقدم بالعمر أكثر من عشر سنوات، لا يمكن ان يصدق بأنه قد حدث في سنتين فقط. واكتشفت بعد ذلك بأنه يائس وكئيب لكثرة ما تكلم عن شقيقه المتوفي، فبعد طول هذه المدة، لا يزال حزيناً لوفاته.

أرادت ستيلا في تلك الأثناء أن تغادر المكان فقالت له: «سآخذ هذه اللوحات الثلاث يا جان كلود، لكن وكما قلت لك، لا أستطيع ان أعدك بشيء.»

«ألا يمكنك ان تعطيني دفعة على الحساب؟» إلتمس جان كلود ذلك منها، فشعرت فران بقلبها يعتصر ألماً عليه. انه من المؤكد غارق في الديون، حتى انه بهذا لا يتناول الأطعمة المغذية الكاملة مما جعله يبدو ضعيفاً.

ترددت ستيلا في بداية الأمر قائلة: «تعرف انني عادة لا... كما اني قد لا أتمكن من بيعها، وقد اعيدها...» ثم قرأت نظرات التوسل في عينيه، فرقّ قلبها وفتحت حقيبة يدها وتناولت منها مبلغاً من المال.

همس جان كلود في تلك الأثناء في أذن فران: «أرغب في رؤيتك مرة أخرى قبل ان تغادري باريس.»

تلعثمت فران قائلة: «نعم... نعم، وهذا لطف منك.» كانت في الحقيقة ترغب كثيراً في رؤيته مرة أخرى، انما ما لمسته اليوم من معاناته أثر فيها كثيراً، وتساءلت هل انه بحاجة للمساعدة يا ترى؟ ثم تابعت تقول: «سأعطيك رقم هاتف فندق كليرمونت ورقم غرفتي لتتمكن من الاتصال بي.» وأخذت تفتش في حقيبتها على قصاصة ورق، لكنها اسقطت كل ما كان في الحقيبة على الكنبة لشدة ارتباكها

وتسرعها. فأخذت تجمع ما سقط وتعيده إلى الحقيبة مرة أخرى، آملة ان لا يكون قد لمح تلك الرزمة المالية التي تخصّ جوردان باري والتي ستعيدها إليه قريباً.

وهما في الشارع، وبعد ان ودعتا جان كلود، التفتت فران إلى ستيلا قائلة لها: «شكراً لك لأنك جلبتني معك لرؤيته، يا للدهشة كم تغير.»

«نعم، ولكن هذه هي الحال في هذه الحياة.» قالت ستيلا ذلك دون مبالاة ومشت باتجاه سيارتها وبها حماس شديد لتصل بفران إلى فندق كليرمونت.

قالت لها فران بعد ذلك: «لن أعود معك يا ستيلا، انني بحاجة إلى بعض الملابس وسأذهب إلى السوق لابتياعها.»

ضحكت ستيلا قائلة: «لن تجدي شيئاً في هذه المنطقة. اصعدي إلى السيارة وسأوصلك إلى كاليري لافاييت حيث تجدين ما يناسبك.»

كان كاليري لافاييت في الشارع الذي يؤدي إلى فندق كليرمونت، فأوقفت ستيلا سيارتها لتترجل فران منها، ثم انطلقت بسرعة دون ان تنطق بكلمة. لم تكترث فران لهذا التصرف، فقد كانت كل أفكارها تتجه نحو زميلها القديم في الدراسة.

اشترت فران فستانين أحدهما أحمر اللون والآخر أبيض، وشعرت بالضيق لانفاقها هذا المبلغ من المال بعدما رأت ما آلت إليه حالة جان كلود. ولكنها تذكرت ان ما فعلته كان ضرورياً، ولأنه، ليس مستحباً ان ترتدي الفستان الأسود نفسه كل ليلة.

استقلت بعد ذلك سيارة أجرة أوصلتها إلى الفندق،

وعندما دخلت إلى البهو، أخذت تتذكر الحديث الذي دار بينها وبين جان كلود. لقد مضى على وفاة شقيقه سنتان لغاية الآن، ولكن جان كلود يتصوّر بأن شقيقه لم يمت سوى في الأمس.

كانت فران تعلم ما معنى الحزن والألم وبالأخص بعد وفاة والدها، وكيف انها استيقظت في صبيحة احد الأيام وهي تشعر بالأسى والشوق إليه، حتى انها اشتاقت إلى حنقه عليها وشتمه لها الخارج عن ارادته وذلك عندما اشتدّ عليه الألم ووصلت به الحالة إلى أقصى درجات اليأس.

لكنها استطاعت تجاوز هذه المحنة مع مرور الوقت، بينما جان كلود لم يستطع، وتساءلت ألم يكن طلبه لرؤيتها مرة أخرى وكأنه يرجو منها مساعدته؟

وقررت ان تسمح له برؤيتها في مالو اتصل بها، وربما قد تتمكن في تقديم المساعدة إليه بعد ان تستمع إلى مشاكله.

وقفت فران أمام باب غرفتها وهي تبحث عن المفتاح في حقيبة يدها، فاكتشفت انه ليس موجوداً ومن المؤكد انه في شقة جان كلود فوق الكنبة حيث سقطت اشياءها هناك. أخذت تلوم نفسها من تهورها وانفعالها وهي تدخل المصعد لتنزل به إلى مكتب الاستعلامات وتحصل منه على مفتاح آخر.

«إذاً، قررت ان تبقي.» سمعت صوت جوردان من ورائها.

التفتت فران بسرعة وقد صبغ الخجل وجنتيها بلون قرمزي. كان يبدو عليه التعب والارهاق، فشعرت فران بعطف نحوه وهو الذي كان يعمل طوال النهار بينما كانت هي تضيّع الوقت دون فائدة مع ستيلا وجان كلود.

«نعم... أنا...» ولم تستطع ان تجد سبباً واضحاً لتخبره سبب بقائها.

«سمعت بأنك قضيت وقتاً ممتعاً مع صديقك القديم.»

«هل أخبرتك ستيلا؟»

«نعم، وكان آخر ما أودّ سماعه منها في الوقت الحاضر، وعن مجموعة من الرسومات لرسّام تشيكوسلوفاكي غير معروف.»

قالت فران ضاحكة: «لكنها تميل إليك.» وسُرّت عندما ابتسم لملاحظتها.

أجابها ممازحاً: «هل هي فعلاً كما تقولين؟» ثم لمح في يدها كيس مشترياتها فتابع يقول: «وماذا فعلت أيضاً؟»

«كنت بحاجة إلى فستاني سهرة، فأوصلتني ستيلا إلى محلات الملابس في كاليري لافاييت.» واعتقدت انه ربما يظن بأنها انفقت المال الذي تركه لها، ففكرت ان تعيده إليه في الحال، لكنها تراجعت، فالمصعد ليس بالمكان المناسب، ولكنها حتماً ستقوم بذلك في وقت آخر.

«سأنتظر رؤيتك وأنت ترتدين أحدهما لاحقاً.» ثم ضاقت عيناه وهو يتابع قائلاً: «وإلى أين أنت ذاهبة الآن؟»

«نسيت ان آخذ مفتاح الغرفة من مكتب الاستعلامات.» تمنت في نفسها ان لا يكون هو الآخر متوجهاً إلى هناك أيضاً. لأنها لا تريده ان يعرف مدى غبائها لتفقد مفتاح غرفتها. ثم سألته: «كيف كانت المحاضرة يا جوردان؟»

«رائعة.» قالها متنهداً وكأنه كان مرتاحاً لانتهائها بسلام.

توقفت فران وأمسكت يده برفق قائلة: «يسعدني سماع ذلك.»

نظر إليها وقال بهدوء: «يسعدني ان تكوني سعيدة... انني خارج الآن، فأنا بحاجة إلى تنشق الهواء النقي، فاذهبي إلى مساعدي سيلاس ماتيوس انه في جناحي، وسيفيدك بكل ما سيحدث في هذه الليلة... سأراك لاحقاً.» قال ذلك وابتعد عنها، فتمنّت فران وهي تراقبه يبتعد عنها، لو انها ترافقه، أو لو انه طلب منها ذلك.

وعندما التقت فران بسيلاس ماتيوس ارتاحت إليه من النظرة الأولى، فقد كان في منتصف العمر، ممتلىء الجسم بعض الشيء وله عينان زرقاوان تشعّان نوراً.

كانت قد طرقت باب الجناح وفتحه سيلاس قائلاً لها بالحاح: «تفضلي يا فران، آه استطيع ان أرى الشبه ما بينك وبين هيلينا... لقد كنت أكلمها على الهاتف منذ لحظات قليلة. لِمَ هذا التردد في ما لو انك تبقين أو لا تبقين؟ مع انني فهمت من جوردان هذا الصباح انك لن تبقي.»

«لقد وقعنا في خلاف بسيط في وجهات النظر و...»

ضحك سيلاس ضحكة باردة ثم قال: «آه، لا يدهشني ذلك، فجوردان انسان صعب المراس خصوصاً في المراحل الدقيقة والعصبية كهذه التي يمرّ بها هذه الأيام، أمور كثيرة تشغل رأسه وأتساءل أحياناً كيف سيتمكن من معالجتها انه يفعل المستحيل دائماً كي ينجح فيها حتى لو اضطر إلى ازهاق أرواح معاونيه بالعمل ليلاً نهاراً.»

جلست فران على الكنبة وقالت له انها فعلاً ترغب بعصير البرتقال. لكنها شعرت فجأة بالتعب والارهاق، فإذا حالفها الحظ ستتمكن من الاستراحة قليلاً قبل بدء تلك السهرة.

أخذ سيلاس يشرح لها بتأنٍ ووضوح عن الواجبات

الملقاة على عاتقها في حفلات كهذه، وانه وجوردان سيهتمان بالحديث عن المبيعات بينما تكون مهمتها هي في ان توفر الراحة والانشراح للمدعوين. وعندما انتهى سيلاس من تزويدها بالمعلومات اللازمة، رجعت إلى غرفتها وكلها حماس شديد لاعلان البدء بهذه السهرة.

علقت فران الفستانين اللذين ابتاعتهما في الخزانة، وقد قررت ان ترتدي الفستان الأحمر لسهرة هذه الليلة. كما قررت ان ترفع شعرها لتضيف على الفستان البساطة في الاختيار. وعندما اطمأنت على ما قررت عليه لأناقتها لهذه الليلة، استلقت على السرير وأغمضت عينيها في محاولة لإبعاد هواجسها وأفكارها عن رأسها، ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة.

تمكنت من النوم أخيراً. وعندما استفاقت، أخذت حماماً منعشاً، ثم وضعت المساحيق التجميلية على وجهها بعناية فائقة وأكثر من العادة. وعندما انتهت من ذلك، أخذت ترفع شعرها وتزيّنه بالدبابيس بترتيب وذوق.

ولم يدخل الخوف إلى قلبها إلا عندما ارتدت فستانها الأحمر وتساءلت بينها وبين نفسها، هل سيكتب لها النجاح في ذلك؟ لقد قال لها سيلاس، ان عدداً من الشخصيات سيكونون في هذه السهرة، فهل هذا يعني انه ينبغي عليها ان تنحني أمامهم وتقدم لهم فائق احترامها؟ ثم أنّبت نفسها لشدة غبائها وتذكرت انها قد باعت لوحة للورد في الأسبوع الماضي وقد كان يرتدي ملابس فخمة جديرة باللقب الذي يحمله، ولم تشعر بالرهبة أو بالخوف منه، لأنهم في النهاية أناس مثلها مثلهم.

وارتاحت نفسياً عندما وصلت بتفكيرها إلى هذه النقطة وعادت تتابع ترتيب نفسها بنفس الهدوء وبرودة الأعصاب التي بدأت بها.

وعندما انتهت، نظرت إلى نفسها نظرة أخيرة في المرآة وعندها فقط انتبهت انها لا تملك حقيبة يد لهذه المناسبة وان حقيبة الظهر غير مناسبة. تناولت مفتاح الغرفة منها ولم تكترث للأمر، ثم وضعتها في الخزانة.

وهمست لنفسها بينما كانت تخرج من الغرفة: لا تضيعي هذا المفتاح أيضاً. ثم توجهت إلى جناح جوردان وهي تلوّح بالمفتاح في يدها.

قال لها جوردان عندما دخلت الجناح: «تبدين رائعة.» لكنها لم تبتهج لاطرائه لأنه لم يصحبه بابتسامة، وعذرته بعد ذلك عندما لاحظت انزعاجه وتوتر أعصابه.

كان المكلفون بتقديم الطعام في حركة مستمرة في ذلك الجناح، فشعرت فران بالطمأنينة لوجودهم معها، بينما كان جوردان منشغلاً تماماً بأفكاره. وشعرت بنفسها وكأنها لا شيء أمامه وأيضاً بانخفاض في معنوياتها، فوقفت عند النافذة تنتظر وصول أول المدعوين. فتأكد لها عند ذلك انه كان فعلاً يريد منها المغادرة هذا الصباح، وكان ينبغي عليها ان تقوم بذلك ومما لا شك فيه، انها ستسبب له الحرج تماماً كما أوضح لها.

تغيّر الوضع عندما بدأ المدعوون يتوافدون وقد خفّ توتر جوردان وأخذ يعاملها بلطف، ولولا انها لم تكن على معرفة به بما فيه الكفاية لاعتقدت بأنه كان فخوراً بتقديمها إلى ضيوفه. فهي تؤدي دورها، لأنها

وببساطة قد أصبحت عضواً من أعضاء شركة باري للأدوية.

لكن فران أدت دورها باتقان وقامت بما كان يتوجب عليها بأمانة واخلاص فنشرت الفرحة والسعادة في قلوب المدعوين، ولم يكن طبعاً يُنتظر منها ان تحمل طبق الكانابيه وتدور به حول المدعوين، فقد كان هناك العديد من المكلفين لهذه المهمة والذين كانوا يتحركون بنشاط لتأمين طلبات الضيوف. لكن فران لم تتناول شيئاً من تلك الأطباق الشهية واكتفت بتناول عصير البرتقال المفضل لديها.

ويمكن القول ان العملين اللذين تقوم بهما فران في بريطانيا، قد استفادت بهما كثيراً في مهمتها هذه، فالحديث عن الفن والطعام في فرنسا أمران لا يمكن للمرء ان يخطىء فيهما. وأخذت عند ذلك تتمتع أكثر فأكثر بهذه السهرة.

همس سيلاس في أذنها: «كيف الحال؟»

«ما من مشكلة.» أجابته بسعادة وقد لمحت في تلك اللحظة نظرات جوردان تقع عليها وقد رفع يده يحييها، وكانت تلك الاشارة الأولى منه، انه يستحسن ما تقوم به منذ بداية السهرة، فابتسمت ثم أخفضت نظراتها خجلاً.

ابتعد سيلاس عنها بعد ذلك ليشترك في الحديث مع زوجة طبيب اسكوتلاندي. لكن فران لم تبقَ وحيدة، فقد انضمّ إليها السيد هاغ وزوجته سينتيا اللذان تعرفت عليهما في بداية السهرة، ثم انضم إليهم فلافيو دو بواسفرت وهو مستشار من ليون، وكانت مهمة فران ان تترجم بينهم من الفرنسية إلى الانكليزية والعكس بالعكس.

انتهت السهرة أخيراً فجلست فران على الكنبة وهي تشعر بألم في ساقيها، فأسرع سيلاس يقدم لها عصيراً منعشاً.

«آه، سيلاس شكراً، انني فعلاً بحاجة إلى هذا العصير.»

ثم نزعت حذاءها من قدميها بارتياح.

ضحك سيلاس قائلاً: «ان هيلينا لم تكن لتفعل ذلك، انها تبقى متألمة حتى النهاية.»

ضحكت فران قائلة وهي تحفّ أصابع قدميها على الأرض: «هذا عمل غبي منها... يبدو عليك انك تعرف الكثير عنها.»

«للأسف، ليس كما تتوقعين.» ثم سكب لنفسه كوباً من العصير المنعش وانضمّ ليجلس معها. كان المكلفون عن تقديم الأطباق، يخلون المكان وقد أعادوا كل شيء إلى ما كان عليه سابقاً ولم يكن أي أثر لوجود جوردان. وتابع سيلاس قائلاً: «لطالما تحيرت بأمر شقيقتك، فقد قدمت لها الماس، والسيارات الجديدة، كذلك دعوات إلى أجمل بقاع الأرض...»

لم تستطع فران ان تضبط نفسها من الضحك وقالت: «توقف عن السخرية يا سيلاس.»

«من الذي يسخر يا صغيرتي... لكن ليس بوسعي ان أفعل شيئاً، فهي تميل أكثر إلى جوردان.» قال ذلك وقد بدا عليه اليأس والقنوط.

لم تدرِ فران ما يمكنها ان تقوله في هذه الأحوال وكل ما استطاعت قوله: «أنا آسفة.»

تحدّاها سيلاس قائلاً: «آسفة على من، أمن أجلي أنا، أم من أجل هيلينا؟»

ابتسمت له وقالت بهدوء: «وكيف لي ان اختار، فأنت وجوردان جميلان.»

فضحك قائلاً: «تقولين انني جميل؟ أنا أحبك يا فران كاين الصغيرة. أتعرفين، بامكانك ان تشغلي منصباً محترماً في العلاقات العامة فهناك العديد من المجالات لفتيات مثلك يتمتعن بالذوق والاخلاق الحسنة.»

«يكفيني ويسعدني ما أقوم به في الوقت الحاضر.» قالت له مبتسمة وقد شعرت فجأة بأنها ترغب في أن تكون وحيدة بعدما سمعت من سيلاس عن اعجاب هيلينا بجوردان، ولكن هل يعلم الجميع بأنها تهتم به؟ وحسدت شقيقتها لوجودها الدائم معه وفي كل يوم من أيام حياتها. فعلى فران وفي هذه الحال، ان تضع حداً لحبها من جوردان. وان ترضى بالأمر الواقع مثل سيلاس تماماً. تظاهرت بالنعاس وقالت: «أين جوردان يا ترى؟»

وشعرت بخيبة أملها عندما قال لها سيلاس ان جوردان قد ذهب إلى قاعة المؤتمرات ليتأكد من الاستعدادات لمحاضرة الغد. شعرت بالانعزال التام وكأن خدماتها قد انتهت والشركة لم تعد بحاجة إليها.

فقالت فجأة وهي تنتعل حذاءها: «من الأفضل ان أعود إلى غرفتي.»

نظر سيلاس إلى ساعة يده ثم قال لها: «ألن تنتظري عودة جوردان؟»

فكرت فران بأن هيلينا دون شك كانت قد انتظرته. فأجابت: «لا، لقد انتهت مهمتي، كما انني أشعر بالارهاق وانني بحاجة إلى النوم، سأراك غداً.»

وقف سيلاس قائلاً: «سأرافقك إلى غرفتك التي لا تبعد كثيراً عن غرفتي.»

أجابته باصرار: «هذا لا يهم، خذ راحتك، واكمل عصيرك.» وأشكرك لأنك كنت في غاية اللطف معي.»

أغلقت باب الجناح بهدوء لتصطدم بجوردان قادماً نحوها وقد شعّ وجهه اشراقاً لرؤيتها، فاختلجت عند ذلك دقات قلبها.

أمسك بكلتي يديها قائلاً: «تبدين منشرحة مثلي.»

«صحيح، وهل أفهم انك كنت راضٍ كل الرضى عما فعلته؟»

«كثيراً، وشكراً لبقائك، فقد أحسنت جداً بتأدية واجبك.»

وشعرت فران بالفخر والاعتزاز بنفسها.

ثم تمتم قائلاً: «يجب ان تأوي إلى الفراش، سأراك غداً.»

وأخذ المفتاح من يدها وفتح باب غرفتها.

فقالت له: «عمت مساء يا جوردان.»

دخلت وأقفلت الباب وراءها ثم أسندت بجسدها عليه وقد أغمضت عينيها، انها تحبه عندما يظهر لها اللطف والاهتمام والاحترام.

اضيئت الغرفة فجأة، فأطلقت فران صرخة مكبوتة عندما سمعت صوتاً يقول لها: «هل أتعبتك هذه السهرة؟»

«جان كلود! ما... ما الذي تفعله هنا؟» وأحست بقلبها يعلو ويهبط من هول المفاجأة.

«لقد جئت لأعيد إليك مفتاح الغرفة الذي تركته على الكنبة في شقتي.» وكان جان كلود مستلقياً على سرير فران، ثم تحرك ليجلس عليه.

بقيت فران ترتعش خائفة من وجوده في غرفتها ثم قالت له متلعثمة: «كان... كان بامكانك ان تسلمه إلى مكتب الاستعلامات.»

وكان بامكانه أيضاً ان يتصل بها ليقول لها انك نسيت المفتاح في شقتي، كان بامكانه ان يفعل أي شيء عدا ان تجده في غرفتها.

وأخذت ترتجف بعصبية وبخوف وكانها اذنبت أو اقترفت ذنباً لا يغتفر.

«لم نتمكن من الكلام بحرية لوجود ستيلا معنا، ففكرت ان أعيد لك المفتاح وأراك مرة أخرى.» كان ما يزال يجلس على حافة سريرها ويبتسم تلك الابتسامة التي عرفتها في يوم من الأيام.

استعادت فران في تلك اللحظات هدوء نفسها وقد شعرت انه من الغباء ان يسيطر عليها الارتباك والخوف منه.

«أترغب ببعض القهوة؟» ولما أشار لها برأسه موافقاً، رفعت سماعة الهاتف وطلبت القهوة لهما. ان قدومه إليها، كان آخر ما تتمناه في الوقت الحاضر.

«شكراً لمجيئك لرؤيتي يا فران.» قال ذلك وقد أسند رأسه بيديه وأخذ يحدّق بأرض الغرفة.

جلست فران إلى جانبه قائلة وقد زال الخوف عنها: «آه، جان كلود، انك تمر بأوقات عصيبة، أليس كذلك؟»

ضحك ساخراً ثم قال: «هذا ما يشاع عني في هذه السنة.»

فقالت له برقة: «لكنك كنت من ألمع الطلاب في المعهد وكانت رسوماتك تبشر بمستقبل عظيم، فما الذي جرى؟

www.elromancia.com

ويؤسفني ان أقول لك ان أعمالك الحالية ليست كما كانت في السابق.»

التفت إليها وقال مبتسماً: «وكنت أنتِ دائماً تلك الموهوبة واللامعة يا فران. لقد انهرت تماماً عند عودتي إلى فرنسا وسبب ذلك فقداني لشقيقي بيار، وكان لموته وقع مؤلم على قلب والدتي بينما والدي يغرق نفسه بالعمل. وقد عدت إلى باريس على أمل ان أتاجر برسوماتي ولكنني للأسف لم أنجح.»

«لماذا لم ترجع إلى المعهد في بريطانيا؟»

«لأنني لا أستطيع ان أتحمل المصاريف لوحدي، فقد كان والدي يتكفل بها في السابق، لكنه وبعد وفاة شقيقي لم يعد يهتم بذلك.»

«وكيف تؤمن معيشتك؟ وهل تربح شيئاً من رسوماتك؟» سألته فران ذلك باهتمام بينما كانت في الوقت نفسه تبحث عن طريقة لمساعدته.

«الحال أفضل في فصل الصيف، فهناك سياح يرغبون ان يشتروا مني، أما في فصل الشتاء، فانني أعمل أحياناً في بعض المطاعم فأغسل الصحون وأخدم على الطاولات.»

اضطربت فران لما سمعته منه، وقد كان في الأمس يتمتع بمعنويات عالية ويبشّر بمستقبل باهر، وترى الآن أمامها حطام رجل يخدم في المطاعم ليؤمن لقمة العيش.

وصلت القهوة، فسكبت فران فنجانين ثم قدمت واحداً منهما إلى جان كلود فتناوله منها بيد مرتجفة ولاحظت انه كان يقضم أظافر يديه من اللوعة والأسى.

«آه، جان كلود، أتمنى من صميم قلبي لو يمكنني

مساعدتك. فقد تتمكن ستيلا من بيع لوحاتك وتصبح معروفاً. فعلى ما اعتقد، انها تعرف أشخاصاً أثرياء.» قالت له فران ذلك مشجعة.

«انك أيضاً تعيشين حياة مترفة لا بأس بها.» قال مشيراً إلى ما يحيطها من فخامة.

ولاحظت فران المرارة في نبرة صوته والشحوب الذي يحيط بعينيه ووجهه.

«لقد شرحت لك سابقاً بأنني وصلت إلى هنا بمحض الصدفة. فهذه ليست الطريقة التي أحياها عادة، بل انها حياة شقيقتي.»

«نعم، نعم.» قال ذلك ووقف فجأة، وتابع قائلاً: «يجب ان أذهب، اعتقد انه لديك أعمالاً أفضل لتقومي بها بدلاً من أن تصغي إلى حظي المتعثر. ربما قد يحالفنا الحظ ونلتقي في وقت آخر...»

وقفت فران هي الأخرى وقالت: «جان كلود، اسمع، يؤسفني ان أراك هكذا متشائماً، أرغب في مساعدتك لو استطعت. كما انني أرغب في أن أراك قبل أن أسافر، وقد يمكننا ان نتناول طعام الغذاء معاً.»

«لا اعتقد ذلك... لدي أعمال كثيرة تنتظرني...» ثم برقت عيناه بأمل وتابع يقول: «ربما... بل نعم، أرغب فعلاً بذلك.» ومدّ يده إلى جيب سرواله وتناول منه قصاصة من الورق وقلماً وأخذ يكتب اسم وعنوان مطعم في مونتمارتر قائلاً: «الخميس، سأنتظرك هناك في حوالى الساعة الثامنة مساءً... شكراً لما أظهرته لي من مودة واخلاص يا فران، وسنتكلم أكثر في ذلك المطعم.»

حاولت فران ان تعترض لأنه لا يمكنها أبداً ان تخرج في المساء. واحتارت في أمرها وتساءلت لو كان في امكانها ان تعتذر لجوردان من تأدية واجبها في الحفلة تلك، فإن جان كلود بأمس الحاجة إليها.

وقفت معه أمام باب غرفتها وقرأت في عينيه توسلاً ورجاءً اضطربت لهما نفسها. ثم ابتسم وابتعد عنها، فأقفلت فران باب غرفتها بهدوء والدموع تتماوج في عينيها.

وبعد لحظات قليلة، فتح الباب فجأة، فالتفتت فران بسرعة وقد ظنت انه جان كلود رجع إليها، لكنه كان جوردان، وقد وقف أمامها والغضب قد استبد به.

أقفل الباب بعنف ثم قال: «شيء مؤثر فعلاً، ولم أكن لأعرف به لو انني لم أخرج من جناحي في هذه اللحظة بالذات، لأجد فناناً حقيراً...» ثم مدّ يده إلى وجهها ليمسح دمعة سقطت فوق خدها قائلاً: «وماذا تكون هذه؟ أهكذا يفعل الفراق بأصحابه؟»

«ليس الأمر كما تعتقده.» قالت بصوت أبح بينما كانت تمسح دموعها.

ثم لاحظ فنجاني القهوة فتابع يقول: «لم تصدقي نفسك بانك تخلصت مني هذه الليلة... وقد وصلت بكِ الجرأة إلى ان تحضريه إلى غرفتك...»

«أنا لم أحضره، بل هو جاء ليعيد لي مفتاح الغرفة...» وندمت لما قالته أخيراً.

أمسك جوردان ذراعها بقسوة وقال: «أي مفتاح، وعمَّ تتكلمين؟»

«لقد نسيت مفتاحي في محترفه الفني...»

«وبهذه الطريقة تسنى له الدخول أثناء...»

«لا!» اعترضت فران وخلّصت ذراعها من قبضته ثم تابعت تقول: «أنا لم اعطه مفتاحي، بل اضعته، ولم تكن لي أدنى فكرة بأنه سيعيده لي، كما انني لم أطلب منه...»

بدا الشرر يتطاير في عيني جوردان وبخطورة، وهو يقول لها: «لقد سبق وقلت لك انني لست على استعداد لكي أنفق على زميلك القديم وكنت أعني ما قلته. فلا تحاولي رؤيته مرة أخرى، هل تفهمين ذلك؟ فلو انك غادرت هذا الفندق دون سماحي لك بذلك، فسأمزقكما أنت وهو إرباً إرباً.» أسرع وتوجه نحو الباب بعد ذلك وهو ثائر وغاضب.

صاحت فران بتحدٍ: «أتريد ان تفهمني بأنني سجينة لديك؟»

استدار نحوها على مهل وقال أيضاً بنبرة هادئة: «لا يا فران. انك حرّة بأن تفعلي ما يطيب لك، وأي شيء، عدا ان تلتقي بذلك الفنان الحقير، هل فهمت؟»

نظرت فران إليه بحيرة وارتباك، ثم قالت موضحة له الأمر: «انه صديق قديم ولا يربطني به أي شيء، كما انني لم أتوقع مجيئه هذه الليلة، صدقني فأنا لا أتفوه سوى بالحقيقة.»

لم يصدق كلامها بل نظر إليها نظرة احتقار جرحت فران في كبريائها وأرادت ان تذرف الدموع.

«لقد رأيتكما معاً تقفان عند الباب وقد أمسكت بيده.»

«نعم، ذلك لأنني شعرت...»

«تشعرين بماذا؟» قال ذلك وتقدم ليقف في محاذاتها.

احتارت فران في أمرها، فهي لا يمكنها ان تقول له

الحقيقة، بأن جان كلود كان بحاجة للمساعدة وبأنها تشعر بالأسف لأجله.

«لم أشعر بشيء، وقد أمسكت بيده كمبادرة لطيفة ولا شيء أكثر من ذلك.»

«كالتي فعلتها معي في وقت ما قبل الآن؟» قال ذلك ثم خرج بسرعة من الغرفة.

الفصل السادس

استيقظت فران في صباح اليوم التالي وهي تشعر أنها بحال أفضل. تقلبت قليلاً في فراشها قبل ان تنظر إلى الساعة في يدها، لكنها لم تجدها وتذكرت انها لم تضعها في يدها ليلة الأمس لعدم تناسبها مع ما ارتدته. قامت من السرير وتوجهت إلى خزانة ملابسها لتأخذ منها حقيبتها التي كانت تحفظ فيها اشياءها الثمينة وتفاجأت برعب شديد ان كل محتوياتها قد اختفت، من ساعة يدها وإلى السوار الذهبي الذي كان قد اهداه لها والدها، حتى مالها والمال الذي كانت ستعيده إلى جوردان.

جلست على السرير تفكر فيمن عساه يكون ذلك السارق، ايكون احد عمال التنظيفات الذي يسمح له بالدخول إلى غرفتها بحجة انه يرتبها وينظفها. ثم سرت قشعريرة باردة في عروقها وقد ادركت من يكون ذلك السارق، انه لا شك جان كلود.

وكان قد شاهد مال جوردان في حقيبتها عندما اسقطت ما فيها في شقته، وبغباء شديد منها، نسيت المفتاح عنده واتاحت له في الدخول إلى غرفتها ليسرق اشياءها الثمينة. وتذكرت انها كانت تثق به دائماً في الماضي عندما كانا زميلين في نفس المعهد، فكم وكم تغير اليوم.

فلا عجب كيف كان تصرفه غريباً ليلة البارحة، وقد كذب عليها عندما قال بأنه كان ينتظرها، ومن المؤكد انه ادعى

ذلك عندما سمع وقع خطواتها في الممشى الذي يؤدي إلى غرفتها، فابتدع قصة اعادة المفتاح اليها. وتذكرت ايضاً كيف انه اعتذر وتمنع في البداية من رؤيتها مرة أخرى وذلك عندما اقترحت عليه هي بذلك، علماً بأنه قد يصبح موضعاً للشبهات عندما تكتشف ان اشياءها قد اختفت.

مسحت فران دموع الحرقة والألم، وقد تذكرت ايضاً كيف اظهر الموافقة والرضى عندما الحت عليه لرؤيته مرة أخرى. تناولت عند ذلك قصاصة الورق التي كتب عليها اسم وعنوان المطعم واخذت تحدق بها وتسأل نفسها، هل سيكون فعلاً هناك؟ لكن لماذا كلف نفسه واعطاها العنوان، إن لم يكن يرغب في رؤيتها؟

على أية حال، إنها تعرف مكان اقامته، ويمكنها ان تجده إذا لم يف بوعده وتلتقيه في المطعم. لكن لا، فهناك احساس يؤكد لها أنه فعلاً سيلاقيها، لأنه غارق في المشاكل وبحاجة اليها.

فكرت من ان تخبر جوردان بما جرى، لكنها غيرت رأيها حالا، فهو منهمك بالمؤتمر وبمشاكله ولن تشغله بهذه المشكلة التافهة، لا سيما ان المسبب هو ذلك الرسام الحقير الذي منعها عن رؤيته.

وقد يتصل بالشرطة ويغرق في تحقيقات واخذ ورد هو بغنى عنها في الوقت الحاضر. وقررت ان لا تتفوه بكلمة واحدة بهذا الخصوص لأي كان.

ومرت ساعات هذا اليوم ببطء وتثاقل وشعرت فران بالألم يعتصر قلبها، ولم يتغير حالها الا عندما دعاها جوردان لتناول طعام الغداء مع اعضاء شركة اخرى

للأدوية، وكان خيال جان كلود وفعلته المشينة لا يبرحان مخيلتها.

وفي مساء ذلك اليوم، تأنقت فران مرة أخرى وهي ما تزال على حالها من الشرود والذهول. ولم يستطع جوردان الا ان يمتدح اناقتها وجمالها وقد بدا عليه انه نسي كلياً ما كان ليلة البارحة، بينما فران لم تستطع ان تنسى ابداً.

«تبدين رائعة بهذا الفستان الأبيض الذي يزيد من رونق وجهك براءة ونقاوة.» تكلم جوردان معها بهمس على مسمع مساعده سيلاس الذي كان مدعواً معهما من قبل جماعة من الباحثين الألمان إلى مطعم انيق.

«صحيح؟» تمتمت فران باقتضاب وهي تجلس في المقعد الخلفي للسيارة، بينما جلس سيلاس قرب السائق دايفيد.

«فران، آسف لما حصل ليلة أمس، فأنا لا اطالبك بشيء...» وتوقف عن الكلام عندما رأى فران ترفع يدها وتضعها على جبينها ثم تابع قائلاً: «هل ما تقومين به هو فوق قدرتك وتحملك؟ انك تبدين شاحبة اللون.»

وكان في نبرة صوته اهتمام بالغ بها، لكنها تألمت وجرحت في كرامتها عندما قال لها انه لا يطالبها بشيء، وشعرت في الوقت نفسه بالذنب والأنانية لأنها تفكر فقط بنفسها وبجان كلود في الوقت الذي كان عليها ان تحصر اهتمامها بالانسان الوحيد الذي يستحق ذلك، بجوردان باري.

ابتسمت له ابتسامة راضية وقالت: «انني بخير. كما انني استمتع كثيراً بوقتي، وكنت قد تصورت ان حفلات كهذه وكل

من يحضرها ستتعبني، انما على العكس، لقد كان الجميع لطفاء ومحترمين.»

تكلم سيلاس عند ذلك دون ان يلتفت اليهما: «جوردان، اعتقد انه من الأفضل ان توظف فران بصورة دائمة، فلها اسلوب رائع يجعل كل من حولها يشعر بالراحة والسعادة. لقد رأيت غوستاف ترويبرغ يبتسم عند الغداء.»

فضحك الجميع لذلك، لأن سيلاس كان قد حذر فران قبل الغداء بأن غوستاف لا يعرف وجهه الابتسام ومعروف بتصرفه الصارم والرديء.

قال جوردان بعد ذلك: «اكلمك بجدية يا فران، فإذا كنت تشعرين بالتعب فما عليك سوى ان تقولي ذلك وتأخذي قسطاً من الراحة.»

ابتسمت له قائلة: «لا تقلق، فأنا بخير، صدقني.» وعضت على شفتها، لقد فوتت عليها فرصة ذهبية، لأنه كان بإمكانها ان تشكو التعب وتذهب سراً إلى جان كلود. وشعرت ان اخلاصها وتفانيها ينقسمان إلى قسمين: اهتمامها وغيرتها على صديقها القديم، وواجبها تجاه جوردان. وجوردان في الحقيقة لم يساعد على زيادة صراعها النفسي عندما لاطفها ولم يفارقها عند تناول طعام الغداء، وقد علق سيلاس وقتها على ذلك بخفة كعادته فاجابه جوردان: «إذا كان عليك ان تختار ما بين فران وبين احتفال وموكب عظيم يقام لك، فماذا تختار؟»

ابتسم سيلاس ولم يجب، بل ضغط على يد فران بلطف.

وتمنت فران لو ان بإمكانها ان تمنح جوردان كل الانتباه لتلك الرعاية التي يحيطها بها في هذه الليلة، لكن خيال جان

كلود وما فعله معها بقي مسيطراً على حواسها وتفكيرها. ولم تستطع سوى ان تبتسم له وكأن شيئاً لم يكن.

استفاقت في اليوم التالي وقد اصابها صداع شديد، فجلست في سريرها تسترجع في رأسها كيف ارادت ان تبقي جوردان وتطلعه على كل ما يعذبها ويرهق اعصابها، لكن وجود سيلاس معهما فوت عليها تلك الفرصة. وبعد ذلك، دعي جوردان إلى مكتب الاستعلامات لأمر ما، فرافقها سيلاس حتى باب غرفتها.

انها لن ترى جوردان اليوم قبل المساء، ففي هذا الصباح سيخرج مع سيلاس لزيارة عيادة في ضواحي المدينة، وفي الثانية من بعد ظهر هذا اليوم، لديه موعد مع بيتر براين. واخذت ساعات النهار تمر عليها بضجر وملل، فقررت الخروج من هذا الفندق الذي بات يقبض عل صدرها.

خف الصداع في رأسها ما ان خرجت من الفندق لتستمتع بشمس باريس الدافئة وهي لا تملك فرنكاً واحداً، وهذا يعني انه لا يمكنها ان تبتعد كثيراً. كان الفندق يقع في منطقة ايكول ميليتر، وهو لا يبعد كثيراً عن برج ايفل. فمشت فران باتجاه بارك دو شامب دو مارس الذي يقع تحت البرج. شاهدت السياح يتجولون هنا وهناك، فشعرت بوحدة قاتلة لم تشعر بمثلها في حياتها.

فكرت في ان تذهب إلى شقة جان كلود، ولكنها عدلت عن ذلك، خاصة وان شقته تبعد عدة أميال عن هذا المكان. وتذكرت المطعم الذي لا يبعد كثيراً، لكن ما العذر الذي يمكنها ان تعطيه لجوردان في ما لو عرف انها خرجت لتلتقي بجان كلود؟

«هل رسمت شيئاً؟»

التفتت فران بسرعة لترى سيلاس امامها، فابتسمت له بارتياح ثم قالت: «لا، ليس الآن، ولكنني سأذهب بعد ظهر هذا اليوم إلى السوق الذي اتوقع ان ارى فيه اشياء اخرى تشدني إلى الرسم.»

فاقترح عليها قائلاً: «إذاً، اتمنى ان ادعوك إلى الغداء قبل ان تذهبي إلى هناك.»

وافقت فران وقبلت دعوته بسرور، ثم قالت له بينما كانا يتجهان إلى المطعم: «كيف كانت زيارتكما إلى تلك العيادة الجديدة.»

كانت في الحقيقة تريد بسؤالها ان تعرف ما إذا كان قد عاد جوردان معه أم لا.

«انني لم اذهب، لأنني كنت اراجع اوراقاً هامة واجري بعض الاتصالات الهاتفية. لقد لازمت الجناح طوال الصباح إلى ان استبد بي الجوع، فقررت النزول إلى المطعم.»

شعرت فران بالحيرة للحظة، وتساءلت الم يكن هو الذي رأته في الشارع قبل الآن؟ لقد كان بعيداً عنها ولم تستطع ان تناديه، فتخيل لها انه خرج يتمشى لاستنشاق الهواء النقي بعد زيارته لتلك العيادة، فهل اخطأت به يا ترى؟

كان طعام الغداء شهياً والجلسة لطيفة برفقة سيلاس. واخذ يخبرها عن الجهود الجبارة التي تقوم بها الشركة لتحافظ على مكانتها ومركزها خوفاً من منافسة شركات اخرى، وبدا على فران الاهتمام، فأخذت تطرح عليه اسئلة في هذا المجال.

ثم بادرته بهذا السؤال: «إذاً، الاجتماع ببراين بعد ظهر هذا اليوم، سيكون في غاية الاهمية؟»

أجابها سيلاس: «طبعاً، فإذا كتب لهذا الدواء الجديد النجاح، سيكون الفضل لجوردان في تقديمه إلى شركة ليونيمات.»

«انني ادعو له من صميم قلبي، وهذه الليلة أنحتفل بهذا الأمر، أو نتأسف لبعضنا البعض.» وفكرت فران، أنها الطريقة الوحيدة لتعرف ما سيكون لاحقاً.

«ان مثل هذه اللقاءات قد تمتد لعدة اسابيع، فشركة ليونيمات هي شركة اميركية، لذا، فاللقاءات قد تتابع في الاطلسي، وبعد ظهر هذا اليوم سيصدر القرار في ما لو يواصلون هذه اللقاءات ام لا. على اية حال، لقد دعا جوردان بيتر برابن وزوجته إلى العشاء هذا المساء.»

اخفت فران تنهيدة الارتياح التي كادت ان تنطلق من صدرها.

لكن سيلاس تابع قائلاً وهذا ما جعل الدم يجمد في عروق فران: «ستكونون الأربعة فقط... لماذا يبدو عليك هذا القلق؟ لقد سبق وتعرفت إليه، انه ذلك الرجل المميز بغرابة اطواره وبشاربه المصفف وبلكنته وكأنه يتكلم وهو يتثاءب.»

لم تستطع فران أن تمسك نفسها عن الضحك لكلام سيلاس الساخر مع انها كانت لا تزال تشعر بانقباض في صدرها. وتساءلت كيف يمكنها ان تعتذر من هذه الدعوة؟ وفكرت ان تتظاهر بالم في معدتها من تأثير الطعام الذي تناولته الآن، لكن سيلاس تناول نفس الطعام، فتراجعت عن هذه الفكرة.

تركت سيلاس وتوجهت إلى السوق والأفكار تتضارب في رأسها، إلى ان وصلت إلى قرار نهائي وحاسم وبأن

جوردان يأتي في المرتبة الأولى، فهي لا تريد ولا بأي شكل من الأشكال ان تفشله، خاصة في هذه الليلة. ويجب ان تنسى جان كلود وقصة سرقته لأشيائها ولمال جوردان وكأنها تجربة مرت وانتهت منها بسلام. كما انها، وقبل عودتها إلى بريطانيا ستخبر جوردان بالحقيقة كاملة، وتمنت لو انه استرجع المال عندما رفضته منه في البداية.

لكن القرار الذي اتخذته احزنها نوعاً ما، لأنه سيمنعها من تقديم المساعدة لجان كلود. فلو انها لم تذهب مع جوردان إلى معرض ستيلا، لما كانت قد عرفت بمعاناة صديقها القديم، ولكن الاقدار شاءت ذلك وكان ما كان.

انتعشت نفسها قليلاً عندما وصلت إلى السوق وقد وجدت ما تطلبه لترسمه. كانت الأماكن التي تعرض فيها السلع مزركشة وملونة، والشارع يضج بأصوات البائعين اللذين ينادون على بضاعتهم. فهذه الأشياء، شدتها وجذبت فيها روح الفنانة الشديدة الحساسية اكثر من اي شيء آخر، واخذت ترسم الخطوط الأولية لما تشاهده بسرعة وحماس.

ضحكت وتجاذبت الأحاديث مع الناس البسطاء في السوق وتبادلت معهم ما رسمته. وكانت تشعر ولمرات عديدة، انها ترى سيلاس، لدرجة انها نادت عليه، بينما كان الرجل المتوسط العمر الذي تتخيله انه هو، يهرع ويختفي بين الجميع.

عادت بعد ذلك إلى الفندق متعبة، ولكنها مرتاحة وهادئة الفكر والأعصاب على الأقل.

«هيلينا!» قالت فران بدهشة عندما دخلت غرفتها لتجد هيلينا فيها.

وأجابتها بنبرة حادة: «نعم هيلينا، ما الذي جعلك ان تدخلي إلى هذا الفندق باسمي؟ لقد حاولت مع مكتب الاستعلامات طويلاً لاقنعهم بأنني أنا هيلينا، فلما تسببتِ في هذه الفوضى؟» كانت هيلينا في حالة غضب وثورة وهياج، فاضطربت فران منها للوهلة الأولى.

«كان هناك ازدحام عندما وصلت إلى مكتب الاستعلامات، واعتقدوا بأنني انت فتركتهم على اعتقادهم لأنني شعرت ان هذا الأمر لا يهم.»

ابتعدت هيلينا عنها وأخذت تخرج مستحضرات التجميل من حقيبتها وتضعها على طاولة الزينة قائلة: «انه عمل غبي! فالأمر طبعاً مهم، ومهم جداً. فلو نشب حريق في الفندق، سيدفنون هيلينا كاين وليس فران!»

صرخت فران عند ذلك بسخرية: «تفاهة! وهذا ما قد يسبب لك الفوضى في الحياة التي تعيشينها، أليس كذلك؟»

حدقت هيلينا بشقيقتها قائلة: «انها ليست مزحة يا فران، فهناك انظمة تتبع في فندق كهذا.»

تنهدت فران وحملت دفتر الرسم وحقيبتها وهي تدرك تماماً انه لا يمكنها ابداً ان تتغلب على هيلينا ثم قالت: «آسفة.» نظرت بعد ذلك إلى قدم شقيقتها وقد لفت بضمادة، وتابعت تقول: «وكيف حال قدمك؟ اظن بأنك قد أخبرتني بأنها ستجبر؟»

لم يكن هناك اي شيء ليرضي هيلينا التي تابعت تثرثر قائلة: «لقد اقنعتهم بأنه لا بأس من الضمادة، ومن المحتمل ان اعرج في الأيام التي سأتقدم فيها بالسن، وهذا كله بسببك.»

«بسببي؟ كيف ذلك؟»

نظرت هيلينا اليها بضراوة وقالت: «لأنني كنت مجبرة على المجيء إلى هنا، وقد تركت المستشفى على مسؤوليتي لكي اعرف ما الذي تفعلينه هنا. ووجدت اولاً بأنك كذبت وخالفت النظام في هذا الفندق... ولا أحد يعلم ما الذي فعلته من اشياء أخرى. كما انني لا ادري ما الذي أصاب جوردان ليطلب منك ان تبقي معه، واعتقد أن هناك أموراً تجري هنا لا تعجبني ابداً!»

واندفعت بحنق ووحشية تحمل حقيبتها لتخفيها في خزانة الملابس.

وقفت فران خلال ذلك تنظر إليها مندهشة وبعينين ضيقتين ثم قالت: «ليس هناك اي شيء يجري هنا يا هيلينا، وان كنت تشكين بتصرفاتي وسلوكي، فما عليك وفي هذه الحالة، الا ان تسألي وتعرفي ذلك من جوردان نفسه.»

«وما ادراك بأنني لن افعل ذلك.» اجابتها بحدة واندفعت نحو الباب.

قالت لها فران ناصحة: «لو كنت مكانك لما ذهبت اليه الآن، لأنه في اجتماع مغلق مع بيتر براين ولا يريد ان يزعجه احد، أياً كان.» كانت فران تعتقد بأن هذا الاجتماع الذي يدور الآن بين جوردان وبيتر براين هام لدرجة انه سيحدد متابعة تلك الاجتماعات في الاطلسي كما قال لها سيلاس.

اجابتها هيلينا بسخرية: «حسناً يا فران! هل بدأت تدركين مدى اهمية هذه الأمور؟»

قالت فران تشرح لها الأمر اكثر: «اسمعي يا هيلينا، انني

احاول التفكير بمصلحتك، فأنت تعرفين الضغوط الشديدة التي يمر بها جوردان، ودعيني انكرك بأنك انت من طلب مني المجيء إلى هنا.»

قالت هيلينا وهي في حالة غضب شديد: «صحيح، ولكن ليس لأن تأخذي مكاني...»

قاطعتها فران: «لم آخذ مكانك، كل ما في الأمر ان جوردان طلب مني ان اساعده ورضيت ان اقدم له تلك المساعدة.»

قالت هيلينا عند ذلك بقسوة: «حسناً، خدماتك لم يعد بحاجة إليها يا شقيقتي العزيزة، ها انا قد اتيت وحتما سيهمل امرك.»

تألمت فران من كلام شقيقتها الجارح والذي صدقت فيه، فمن المؤكد ان جوردان سيستغني عنها في وجود هيلينا. لقد كانت غبية عندما انخدعت بمشاعرها تجاه جوردان الذي حتما سينسى امرها وقد اطلت عليه الفاتنة هيلينا.

وتنهدت بعمق قائلة: «انك على حق. ولكن ماذا عن هذه الليلة؟ فقد كان يفترض ان احضر العشاء الذي يقيمه جوردان لبيتر براين وزوجته.»

اجابت هيلينا بتذمر: «حسناً، لقد وصلت في الوقت المناسب، انت مع عائلة براين؟ لا بد وان جوردان قد فقد عقله.»

اغرورقت الدموع في عيني فران ولكنها لن تدع هيلينا تشاهدها تسقط وتلمس كم اهانتها وجرحتها، ثم قالت: «هيلينا! ماذا تفعلين؟»

ولقد رأت هيلينا خارجة من الحمام وبيدها حقيبة الزينة التي تخص فران.

«اوضب امتعتك، فهناك رحلتان إلى بريطانيا هذا المساء. ويجب ان ترحلي في احداهما.» ثم اخرجت حقيبة فران من خزانة الملابس.

اعترضت فران قائلة: «لا يمكنني السفر هذه الليلة.» وذلك لأنه كان من الصعب عليها السفر قبل ان ترى جوردان.

فقالت هيلينا وقد رفعت سماعة الهاتف لتحجز لشقيقتها مقعداً في احدى الرحلتين: «ولِمَ لا؟ فأنا متأكدة ان جوردان لا يريدك ان تبقي معه اكثر من ذلك.»

اخذت فران ترتجف، كيف يمكنها ان تسافر دون ان تراه يا ترى؟

اكتشفت هيلينا بعد ان اجرت اتصالها الهاتفي ان المقاعد كلها في الطائرتين قد حجزت بأكملها لهذه الليلة وحتى لصباح يوم الغد ايضاً، فشعرت فران عند ذلك بالراحة والاطمئنان.

ظهرت الخيبة على ملامح وجه هيلينا فانزعجت منها فران كثيراً، ثم تحولت عنها وتقدمت نحو النافذة. لقد تأكد لها الآن سبب اصرار هيلينا على سفرها، انها الغيرة منها، ولم يكن قلقها سببه ما تقوم به فران من عمل، انما الذي كان يخيفها تحول اهتمام جوردان منها إلى شقيقتها. وتساءلت فران. هل انه فعلاً قام بذلك؟

«ما الذي تريدين ان تفعلينه الآن؟» سألت فران عندما رأتها ترفع سماعة الهاتف مرة اخرى.

«احاول ان احجز لك غرفة اخرى، فلا يمكننا ان نتقاسم هذه الغرفة.»

قالت فران وهي تحول نظرها إلى الشارع: «كوني منطقية يا هيلينا، فالفندق يكتظ بالناس الوافدين من اجل المؤتمر، ومن المؤكد انك لن تجدي غرفة خالية.»

اعادت هيلينا السماعة بعنف وقالت: «حسناً ايتها الذكية، انك محقة في ذلك، والحالة هذه، سأنتقل إلى جناح جوردان.»

استدارت فران ببطء نحو شقيقتها وقد تأكد لها الآن، ان الغيرة وحدها هي التي دفعتها إلى المجيء وانتقالها إلى جناح جوردان ليس سوى تأكيداً لها بأنها الوحيدة التي دخلت قلب جوردان دون منازع.

اخذتا تنظران إلى بعضهما البعض، وفكرت فران كم تكرهها شقيقتها. وقد كانت في البداية تلومها لأنها استحوذت على حب وعطف والداها لها، والآن تعتقد بأنها تسلب منها صديقها، مع ان فران لم تكن تنوي ذلك ابداً.

كانت هيلينا تبدو في غاية الروعة والجمال حتى عندما تكون غاضبة وعصبية، فقد كانت رشيقة القوام وتعرف كيف تختار ملابسها الأنيقة. فمن المؤكد انه حالما تقع عينا جوردان عليها، سينسى كليا وجود شقيقتها الأصغر سناً.

نظرت هيلينا عند ذلك إلى ساعة يدها، ثم نظرت إلى نفسها في المرآة باعجاب وقالت: «لا بد وانه قد انتهى من اجتماعه بالسيد براين الآن، فقد تأخر الوقت وهناك امور اخرى يجب ان يستعد ويتحضر لها.»

تنفست فران بارتياح حالما خرجت هيلينا من الغرفة. وفكرت بانتقال هيلينا إلى جناح جوردان وتألمت اشد الألم

لذلك، ثم دخلت الحمام لتستحم وقد شعرت انه انتهى امرها، وان ما كانت تشعر به تجاه جوردان لم يكن سوى حلماً رائعاً واستفاقت منه لترى الحقيقة وهي واحدة، وجود هيلينا فقط في حياته.

ولدهشتها، عادت هيلينا إلى الغرفة بعد وقت قصير جداً قائلة: «يبدو انه لا مفر من بقائنا مع بعضنا البعض، فقد ابلغني جوردان بأسف، ان سيلاس هو الذي يستعمل الغرفة الأخرى في الجناح.»

شعرت فران بموجة من الفرح تجتاح كيانها وقد عرفت ان جوردان كذب عليها، فسيلاس يشغل غرفة ليست بعيدة عن هذه الغرفة، وهذا يعني ان جوردان لا يريد هيلينا في جناحه.

قالت هيلينا بعد ذلك: «هيا اسرعي يا فران، فأنا اريد ان احضر نفسي، وتذكري جيداً انك لست ذاهبة لأي مكان.»

خرجت فران قائلة: «أ... أعتقد انه كان سعيداً برؤيتك من جديد.»

اسرعت هيلينا تقول بينما كانت تعلق ملابسها الأنيقة في الخزانة: «انه مبتهج للغاية. لكنه بدا عليه الارهاق والتعب، فنصحته بأن يأخذ قسطاً من الراحة، انه بالطبع لا يحتاج إلى نصيحتي، لأنه رجل يتمتع بطاقة كبيرة توازي مئة رجل، وبما انني اتيت، سأحاول ما استطعت ان اخفف من الضغوط التي يتحملها، يا له من رجل مميز، اليس كذلك؟» ثم تناولت فستاناً حريرياً أزرق اللون ووضعته بترتيب فوق السرير.

لقد كذب جوردان عليها بأمر الغرفة الأخرى في الجناح،

لكنه من المؤكد انه قد رحب بمجيئها وسوف تحضر العشاء مع عائلة براين. ولكن امراً واحداً اسعدها في ذلك، لقد اصبحت حرة وبامكانها ان تجتمع بجان كلود كما كان مقرراً، وسوف تصغي إليه وإلى ما يعانيه من مشاكل وستحاول مساعدته حسب استطاعتها.

«إلى اين انت ذاهبة؟» سألت هيلينا شقيقتها فران التي كانت قد ارتدت سروال الجينز وسترة مريحة لتلك المسافة الطويلة التي ستقطعها سيراً على الأقدام إلى المطعم الذي من المفترض انها ستلتقي فيه جان كلود.

«ساخرج.» أجابت فران وقد امتلأ انفها برائحة عطر شقيقتها الغالي الثمن، وكانت هيلينا في تلك الاثناء قرب النافذة تطلي اظافر يديها.

سألتها بعدم اكتراث: «اعلم ذلك، لكن إلى اين ومع من؟»

«إلى احد المطاعم لأتناول وجبة خفيفة مع صديقة لي كنت قد التقيتها صدفة منذ يومين. فبينما كنت مع جوردان، اتصلت بها واتفقت معها على الخروج.»

كان ما قالته صحيح إلى حد ما، عدا عن قولها صديقة بدلاً من صديق.

«يا لها من صدفة غريبة فعلاً، جعلتك تلتقين بصديقتك القديمة في باريس، اليس كذلك؟»

نظرت فران اليها بفضول وكأنما تريد ان تعرف ما يجول في رأسها... ولكن هيلينا لم تكن تحادثها بطريقة تشكك بها هذه المرة كما اعتقدت فران. لا بل على العكس، فقد كانت هي التي تتصرف بطريقة مشكوك فيها وكأنها تسعى إلى مزيد من المشاكل.

تمتمت فران بعد ذلك قبل ان تخرج: «لقد حدثت اشياء غريبة يا هيلينا.»

كان المساء رائعاً ودافئاً يساعد فعلاً على السير على الأقدام، فشعرت فران ببعض الهدوء في نفسها والوضوح في تفكيرها. لقد ادركت الآن انها لا يمكنها ان تفعل شيئاً سوى ان تستمر بحياتها والألم يعتصر قلبها لابتعادها عن حياة جوردان. وفكرت بلقائها بجان كلود وبأنها لن تتناقش معه بأمر سرقة اشيائها، وتعالج معه الأمر بعقلانية وهدوء. كذلك ستقنعه ان يغير ما في نفسه حتى تنعكس على لوحاته تلك الرسومات المبدعة التي كان يقوم بها يوماً ما، لأن ما فعله معها كان بسبب الحالة النفسية البائسة التي وصل اليها.

«مطعم لاروشل؟ نعم، اعرفه، لكنه ليس بالمكان الملائم لسيدة لطيفة مثلك.» اجابها رجل باريسي عندما اوقفته لتسأله عن الجهة التي يتوجب عليها ان تسلكها.

لم تندهش فران في ان تسمع بأن المطعم الذي يرتاده جان كلود، هو مطعم سيىء السمعة. فهي لم تتوقع وفي حالته هذه ان يرتاد اماكن فخمة وانيقة.

كان مطعم لاروشل يقع في زقاق ضيق، ولكنه كان بالامكان ان يبدو اجمل مما هو عليه لو ان صاحبه اعاد طلائه وأحسن من ترتيبه وفرشه، فقد كانت النوافذ قديمة ومهترئة والستائر متسخة وملطخة بسبب دخان السجائر لسنوات مضت لا تعد ولا تحصى.

دخلت فران إلى المطعم الذي عبق برائحة الدخان، ولكنها خرجت بسرعة بعدما تأكدت ان جان كلود ليس في

داخله. فكرت عند ذلك ان تسأل تلك الفتاة التي تجلس وراء آلة القهوة عنه وإذا كانت تعرفه. لقد كانت تعرفه فعلاً، انما الساعة كانت تشير إلى ما بعد الثامنة ومازال الوقت باكراً لقدومه.

ثم سألتها تلك الفتاة فجأة: «هل أنت فران، صديقته البريطانية؟»

تسارعت دقات قلب فران وقالت: «نعم، نعم. هل ترك لي رسالة ما؟» وفكرت فران انه ربما لن يتمكن من المجيء وانها قد قطعت كل تلك المسافة سيراً على قدميها من اجل لا شيء.

ابتسمت الفتاة قائلة: «لا، لم يترك اية رسالة. لكنه كان قد ذكر امامي بأنك ستأتين، هذا كل ما في الأمر. وقال ايضاً بأنك صديقة طيبة من بريطانيا.»

ارتاحت فران لذلك، فهذا يعني انه عازم على المجيء. فقررت ان تجلس قرب النافذة تنتظر، وكانت تتمنى بداخلها فنجاناً من القهوة، ولكن كيف يمكنها ان تحقق ذلك، انها لا تملك فرنكاً فرنسياً واحداً؟ وأخذت تلهي نفسها بمراقبة بعض الرجال وهم يلعبون لعبة الدومينو إلى الطاولة القريبة منها.

امتلأ المكان بعد ذلك بالشبان، فاضطر الرجال الأكبر سناً ان ينتقلوا إلى غرفة اخرى فأخذت فران تدقق النظر بالوافدين الجدد، ولكن جان كلود لم يكن بينهم.

اضطرت ان تنتقل من مكانها إلى الجانب الآخر من الطاولة عندما حشر بعض الشبان والشابات انفسهم إلى طاولتها وهم يضحكون ويصرخون بأعلى صوتهم.

انزعجت فران من ضجيجهم وتململت في مقعدها، وامتلأ الجو بسحابة كثيفة من دخان السجائر.

ومالت نحوها فتاة كانت تجلس على مقربة منها وقدمت لها لفافة سجائر.

فرفضت فران قائلة: «لا، لا، فأنا لا ادخن.»

ولاحظ احد الرفاق الآخرين لهجتها فقال معلقاً: «انت بريطانية، أليس كذلك؟»

وعلق آخر قائلاً: «اتكونين صديقة جان كلود؟»

واخذت فران ترد على وابل من الأسئلة إلى ان شعرت بدوار في رأسها. وندمت على مجيئها إلى هذا المكان وامتلأ قلبها بخوف شديد من عدم مجيء جان كلود في الموعد المضروب وحاولت ان تقف قائلة: «يجب ان اذهب.»

امسك بيدها احد الشبان واجبرها على الجلوس مجدداً وهو يقول: «لا، لا، لا يمكن ان تتركينا وانت بهذه الروعة من الجمال... ستبقين.» ثم لمس وجهها بأصابعه القذرة متابعاً قوله: «لا تخشي شيئاً يا عزيزتي، اننا لن نؤذيك. خذي وجربي هذا، فأنا متأكد بأنه سيجعلك تبتسمين.» وحاول ان يضع لفافة سيجارته في فمها فصرخت فران تمنعه وهي تشعر بخوف سحق قلبها.

حاولت بيأس ان تبتعد عنهم، لكنها لم تستطع الافلات منهم، إلى ان امتدت ذراعان قويتان لتسحبها من بين هذا الجمع المخيف، وشعرت بقلبها يهوي من مكانه عندما اكتشفت ان مخلصها كان جوردان.

قالت بصوت مرتجف: «جوردان! جوردان ما الذي...؟»

لم يسعدها رؤية اي كان في حياتها كلها مثل سعادتها

لرؤيته الآن، وكأن الحظ ارسله لينقذها من هؤلاء الأوغاد. وتبدلت سعادتها إلى خوف شديد منه، عندما لمحت تبدل اسارير وجهه بينما كان الشر يتطاير من عينيه. ثم صرخت متألمة وهو يشدها بقوة وعنف نحو الباب.

«جوردان، ارجوك، انك تؤلمني!»

رد عليها بغضب شديد: «سأقتلك متى اصبحنا في الخارج.»

ولم تشك في ذلك ابداً.

www.elromancia.com

الفصل السابع

لم يتكلم جوردان ولم يترك فران من قبضته، الا بعد ان خرجا من ذلك الزقاق الموحش واصبحا في الطريق العام.

«اختيار رائع للأصدقاء!» قال ذلك بحنق شديد اخيراً، واخذ ينفض بيديه الاثنتين الغبار العالق على سترته الأنيقة بقرف واشمئزاز.

«انهم ليسوا اصدقائي، كما انها المرة الأولى التي اشاهدهم فيها في حياتي كلها.» اجابته فران والخوف مازال يسيطر عليها.

«اما بالنسبة إليّ، فقد وجدتك منسجمة تماماً معهم.»

كانت سيارة جوردان تقف عند حافة الطريق والسائق ينتظر في داخلها. وشعرت فران انها بحاجة لأن تسير على الأقدام في الهواء الطلق، لا ان تجلس متوترة في المقعد الخلفي للسيارة.

شعرت ايضاً بالحرج وقد تصورت لو ان جوردان شاهدها وهي تجلس مع جان كلود فما كان سيفعله اكثر من الذي فعله، لا شك وانه كان سيتصرف كهبوب الريح التي تبعثر الأخضر واليابس دون رحمة وشفقة. ثم سمعت صوت جوردان يعطي تعليماته للسائق لينطلق وينتظرهما في الشارع التالي.

عاد اليها مرة اخرى، فبادرته بأسئلة متتالية وهي تشعر بالحيرة والارتباك: «كيف عرفت بمكان وجودي؟

ولماذا لست مع عائلة براين لتناول العشاء؟ واين هيلينا؟»

لكنها لم تحصل منه على اي جواب، بل سحبها من يدها وسار بها فوق الرصيف المزدحم بالمارة، إلى ان وصل بها إلى شارع هادىء وضيق. توقف هناك ونظر إليها برفق ولطف مبتسماً لها.

قالت عند ذلك وقد اطمأن بالها: «آسفة، فأنا لم اكن ادري ما كنت افعل. ولكنني سررت جداً لرؤيتك.»

رفع رأسها لينظر في وجهها قائلاً: «لماذا حاولت الهرب مني إذاً؟»

اجابته بصدق: «شعرت بالخجل... والحيرة لأنك وجدتني في هذا المكان.»

«كنت تنتظرين جان كلود، اليس كذلك؟»

اخفضت نظرها ولم تستطع الإجابة عن سؤاله.

فتابع يقول بهدوء: «لقد نبهتك ألاّ ترينه مرة أخرى يا فران... ولكنك عصيت اوامري.»

كادت تثور غاضبة من كلامه الأخير، لكن سرعان ما اخمدت تلك الثورة وقالت باستسلام: «اضطررت لذلك يا جوردان.»

فقال لها بنبرة قاسية وخافتة: «اما زلت تهتمين به؟»

نظرت إليه بحدة وقد احتارت من نبرة صوته، ثم قالت ببراءة: «كان يحتاج إلي.»

فقال بنبرة صارمة: «اريد منك الحقيقة يافران، هل مازلت تحبينه؟»

اجابته بسرعة: «لا... لا. كما وانني ما احببته في السابق! ربما اعتقدت انني احببته عندما كنا زميلين في معهد

الرسم، انما ذلك لم يكن سوى وهماً، لأن النوم لم يعاندني مرة واحدة بعد ما سافر عائداً إلى فرنسا.»

«لكن لماذا الآن تحاولين ان تجددي الصداقة القديمة بينك وبينه؟»

اعترضت فران قائلة: «لا، لم يكن ذلك في نيتي منذ البداية، ولكن كما تعلم كانت هذه فكرة ستيلا ان...»

«لكنها لم تكن فكرة ستيلا في ان يأتي إلى غرفتك في الفندق. ونويت رؤيته مرة أخرى، وهذا هو سبب وجودك في ذلك المطعم...»

قاطعته فران: «نعم، ولكنني كنت مضطرة لذلك يا جوردان... فهو يحتاج إلي... انه يتخبط بالمشاكل...»

فسألها عند ذلك بقسوة: «لقد اعتقدت ان حاجته اليك تفوق حاجتي اليك؟ لقد تخليت عن ارتباط عشاء مع رجل ذو شأن عظيم وجعلت شركتي في موقف حساس وخطر لأنني قلقت عليك في ما قد يجري لك في ذلك المكان المشبوه. هل تعلمين ان مطعم لا روشل، مكان لا يرتاده سوى العاطلين عن العمل وحثالة الناس؟»

نفت فران بحركة من رأسها وقالت: «لا، لم أكن أعرف.»

«ولا اعتقد انك ايضاً كنت تعرفين بأن جان كلود احد هؤلاء الذين يتعاطون...»

قاطعته فران قائلة: «طبعاً كنت اعرف، ولهذا السبب وافقت على ان التقي به!»

اخذ يرتجف من الغضب وهو يقول: «كنت على علم بذلك؟ هل أنت...؟»

قاطعته فران تدافع عن نفسها وقد صعد الدم حاراً إلى

وجنتيها: «هل تعتقد بأنني اتعاطى تلك... آه يا جوردان، هل تعتقد ذلك فعلاً؟»

«لا... لا، طبعاً، فأنا لا اعتقد ذلك. آسف لتصرفي يا فران... اعذريني فقد صدمت عندما قلت لي انك تعلمين بمشكلة جان كلود وفوق ذلك وافيته في الموعد المضروب.»

قطبت فران حاجبيها قائلة: «ولكن كيف عرفت كل ذلك؟»

«أخبرتني ستيلا عندما جاءت لتخبرني عن اللوحات الجديدة التي وصلتها. ولم اهتم لذلك الا عندما شاهدته يخرج من غرفتك.»

قالت فران بمرارة: «ففكرت عند ذلك في الأسوأ، وبأنني مدمنة ايضاً.»

اجابها بهدوء: «لا لم يكن هذا ما يشغل فكري.»

شعرت فران بالغضب وقد ادركت ماذا كان يقصد بكلامه فقالت: «هل باعتقادك انني من بنات السوء؟» وحاولت ان تبتعد عنه وحزن عميق في داخلها، لكنه سد عليها الطريق.

ثم قال برزانة وهدوء: «لا، لم اعتقد ذلك ابداً، انما شعرت بالخوف والقلق عليك وهذا كل ما في الأمر.»

رفعت رأسها بشموخ وقالت بعناد: «وهل تعتقد بأنني لا استطيع ان احمي نفسي؟»

سألها بسخرية واضحة: «هل استطعت ان تحمي نفسك هذه الليلة؟»

أجابته بتحد: «لم اكن في موضع خطر، ولا احد يمكنه ان يجبرني على أي شيء لا أرغب في ان أقوم به... بالمناسبة، كيف عرفت بوجودي في ذلك المطعم.»

لأنه كان يعلم بأنني سأقلق عليك. ثم اتصل بي ليخبرني بأنك دخلت ذلك المكان المشبوه.»

قالت فران غير مصدقة وهي تستعيد بذاكرتها وبسرعة ما حدث لها في هذا النهار، وكيف انها كانت تتخيل بأنها ترى سيلاس في كل شارع تدخله: «سيلاس لحق بي إلى المطعم؟ انه كان يلاحقني طوال النهار، اليس كذلك؟ إذاً، لم يكن يتهيأ لي ذلك. فقد كنت اراه في الحديقة وفي السوق وفي كل مكان. هل طلبت منه ان يلاحقني؟»

«كنت قلقاً و...»

صاحت فران عند ذلك بحنق: «كيف تجرؤ على ذلك؟»

«من اجل مصلحتك يا فران.»

«من اجل مصلحتي! لا، لقد كنت تفكر بنفسك فقط يا جوردان باري! فأنت لا تثق بي وكل ما يقلقك هو مؤتمرك وشركتك ولا شيء عدا ذلك، كنت تخشى الفضيحة التي قد تأتيك عن طريق تلك المساعدة الصغيرة التي تتعاطى...»

«لا تكوني سخيفة.»

«لا تقل لي هذا الكلام.» قالت ذلك ودفعته بعيداً عنها. ثم تابعت وهي تبتعد عنه: «انني عائدة إلى ذاك المطعم لأقابل شخصاً يثق بي وبحاجة ماسة إلي. ولا تحاول ان تلحق بي مرة اخرى، هل فهمت؟»

ثم اخذت تعدو بسرعة مبتعدة عنه، ولكنه اسرع خلفها وامسك بذراعها وادار بها نحوه.

«ما الذي استطيع ان اقوله أو افعله كي انفذ إلى داخلك ايتها الحقيرة. انك لن تعودي إلى ذلك المطعم ويجب ان تنسي امر جان كلود، هل فهمت؟»

صاحت قائلة وهي تحاول الافلات منه: «لا.» وقبل ان تتمكن من الاعتراض أكثر، شدّ من قبضته على ذراعها.

ثم قال بمرارة: «سأفعل ذلك مراراً وتكراراً إلى ان تحسني التصرف... والآن، يجب ان نعود إلى الفندق.»

قاطعته قائلة: «لا! لا يمكنني ذلك يا جوردان. ويجب ان اعود إلى المطعم لانتظر جان كلود. انك لا تعلم، فهو بحاجة إليّ وقد سرقني لأنه...»

«ماذا فعل؟»

اخفضت فران بنظرها وقد تمنت لو ان الأمور لم تصل معها إلى هذا الحد، ثم قالت: «انه... وفي تلك الليلة في غرفتي... وبعد ان تركني، اكتشفت انه سرق المال الذي اعطيتني اياه والذي كنت عازمة على ان اعيده اليك. وقد سرق ايضاً ساعة يدي وسواري الذهبي.»

صاح جوردان عند ذلك: «ويحك! ومازلت تريدين مساعدته؟»

«ما فعله لم يكن سوى نداء للمساعدة.»

حاول جوردان ان يسيطر على غضبه وقال: «فران، لقد سرق ليشبع رغباته الحقيرة، فالرجل تافه وحقير.»

اشتعلت فران غضباً وانفجرت قائلة: «هل تسمي نفسك طبيباً؟ ان جان كلود بحاجة للمساعدة... آه، لقد قلت لك في ما مضى بأنك لا تحمل ذرة من الانسانية، فأنت انانى لا يهمك احد سوى نفسك.»

صرخ جوردان في وجهها: «اخرسي يا فران!»

لقد ادركت انه رجل يخلو من الاحاسيس والمشاعر الانسانية وتساءلت كيف انها اعتقدت يوماً انها احبته.

«انني اكرهك يا جوردان باري!» وكان ما قالته بمثابة طعنة في قلبه، وقرأت الألم السحيق يموج في عينيه، فادركت عند ذلك ما فعلت به. فلولا قلقه عليها وحبه لها لما كان في هذه الساعة في شارع جانبي من باريس يحاول ان يردعها من العودة إلى ذلك المقهى. كان يجب ان يكون الآن مع السيد براين من اجل خير ومصلحة شركته لا من اجل مصلحتها هي. ثم شعرت فجأة انها تستطيع ان ترى اكثر ذلك الشحوب على بشرته والقلق والألم اللذين يظهران في عينيه.

تحولت عنه وهي تشعر بالخجل مما فعلت به، فنادى باسمها وكأنما كان ينادي من قلبه وليس من شفتيه، فارتبكت وارتطمت قدمها بحافة الطريق ثم سقطت على الأرض وهي تشعر بدوار شديد في رأسها.

ساعدها على الوصول إلى المقعد الخلفي من السيارة. فصرخت بألم من قدمها المصابة، وتذكرت شقيقتها هيلينا وحادث الاصطدام الذي حصل لها، لكن جوردان لم يكن إلى جانبها لكي يخفف عنها آلامها.

«أنا آسفة للكلام الذي تفوهت به...»

قال لها بلطف: «لا تتكلمي الآن.» وانطلق السائق دايفيد في شوارع باريس إلى فندق كليرمونت الفخم.

ساعدها جوردان في الدخول إلى جناحه الخاص واجلسها على الكنبة المريحة، ثم أخذ يجري بعض الاتصالات الهاتفية الهامة.

وعندما انتهى من ذلك، فحص قدمها المصابة ثم قال: «لقد إلتوت قدمك، انما ليس هناك من كسور فيها.»

«سامحني يا جوردان، فقد قلت لك كلاماً معيباً هذه ليلة، وأنا نادمة على ذلك اشد الندم.»

تركها ليسكب عصيراً بارداً لهما ثم قال: «بدت لي كلماتك وكأنها نابعة من قلبك.»

واعترفت بصوت هامس: «لقد غضبت منك يا جوردان لأنك لم تبد أي اهتمام لحالة جان كلود. لا ألومك في ذلك، فأنت لا تعرفه كما اعرفه. صدمت عندما ادركت ما كان يعاني منه، وحاولت ان اتراجع عن مساعدته، لكن وعندما تذكرت كيف كان يتمتع بتلك المواهب العظيمة والتي خسرها الآن، اردت ان امديد المساعدة اليه لأنه فعلاً يحتاج إلى من ينصحه، خاصة بعد ان وجدته ما زال يتأسف وينوح على شقيقه المتوفي.»

تقدم جوردان وناولها كوب العصير البارد قائلاً: «دعي هذا الأمر جانباً يا فران. ولا تهتمي بموضوع لا تعرفين سوى القليل عنه. فلا يمكنك تقديم المساعدة لأي كان الا إذا كان هذا الكائن يريد ويرغب مساعدة نفسه أولاً. هل تفهمين ذلك يا فران؟»

اومأت فران برأسها وتناولت كأس الشراب من يده قائلة: «نعم، افهم ذلك تماماً، ولكنني فهمت انه يحتاج إلى المساعدة، ولم يكن ما فعله معي الا نداء من اجل ذلك.»

«لقد سرقك ليشتري الممنوعات يا فران، ولم يفكر بما قد يصيبك ولا للحظة واحدة.»

«ربما.»

«انسي هذا الأمر يا فران والا حتما سأفقد اعصابي.»

قالت فران عند ذلك: «لم اطلب شيئاً من ذلك سوى المساعدة.»

«ان كنت تميلين إلى تقديم النصيحة والمساعدة، فسآخذك إلى ملجأ والدي للفقراء والمعوزين، ويمكنك عندها ان تخففي عن اشخاص لم تمنحهم الحياة فرصة ثانية.»

كل ما كان لفران في هذه الليلة من شجون وآلام، اثر على معدتها فأحست بالغثيان، فاسرعت بالدخول إلى الحمام وهي تمسك معدتها المتألمة.

وعندما خرجت من الحمام قالت له: «آه يا جوردان، انني آسفة.»

قال لها بهدوء: «اني آسف ايضاً يا فران، فقد كنت قاسياً معك، ولكن الذنب ليس ذنبي، فأنت في بعض الأحيان عنيدة ولا تصغين إلى احد... استريحي الآن على الكنبة لأحضر لك كوباً من الماء.»

فعلت كما طلب منها وعندما عاد بكوب الماء شربت ملء ما فيه وشعرت بالراحة اكثر. ثم قالت له: «جوردان، اخبرني عن هذه الليلة، لا اقصد بذلك ما كان في المطعم، انما عن عائلة براين وهيلينا.»

جلس إلى جانبها على الكنبة قائلاً: «لقد خرجت هيلينا معهما إلى العشاء. اتدرين، لم اصدق عندما رأيتها بعد ظهر هذا اليوم، دخلت إلى هذا الجناح وكأنها لم تغب عنه ابداً، كنت اتوقع مجيئك انت لا هي. وبعد ذلك، ادخل سيلاس الرعب إلى قلبي عندما اخبرني بأنك خرجت من الفندق.»

ضحكت فران قائلة: «وهل عاد بسلام؟»

«نعم، ثم استقل سيارة اجرة لينضم إلى هيلينا وعائلة براين.»

ادركت فران عند ذلك امراً هاماً فقالت: «يجب ان تكون معهم يا جوردان.»

«احياناً بعض الأمور قد تكون ذات اهمية أكثر من العمل نفسه.»

شعرت فران بسعادة لمدى اهتمامه بها، وكان من المفترض ان يكون مجتمعاً مع براين لتحقيق اهداف شركته، ولكنه فضل ان يبقى إلى جانبها ليقدم لها سبل الراحة. فقالت له عند ذلك: «جوردان، هل تذكر ما قلته لك قبل الآن... بأنني اكرهك؟ حسناً، لقد كانت زلة لسان مني. فقد اردت ان اقول لك... بأنني احبك.» قالت ذلك وقد خشيت ان يكون حبها من طرف واحد فقط.

تذكرت هيلينا فندمت على ما قالته له الآن، وهو الذي لا يهتم سوى بها. لكن لا، قالت لنفسها، انه يهتم بي وما حدث في هذه الليلة لهو اكبر دليل على ذلك.

أجابها بلطف: «احبك ايضاً يا زهرة الربيع.»

شعرت بدموع الفرحة تترقرق في عينيها وهي تنظر إليه لترى وجهه المبتسم لها، فتح فمه ليتكلم، ثم تراجع وكأنما لا يريد أن يبوح بشيء الآن.

«لماذا تراجعت عن كلامك؟»

«لأنك تحتاجين إلى النوم والراحة اكثر من أي شيء آخر، نامي يا زهرة الربيع، فهناك متسع من الوقت لمثل هذه الأحاديث.»

ابتسمت له بعذوبة، انها تحبه لمدى اهتمامه واحترامه لها. فتثاقلت اهداب عينيها وغلبها النعاس. لقد كان محقاً وكما هو دائماً، عندما قال لها انها تحتاج للراحة، فاستغرقت في نوم هادىء وعميق وهي مطمئنة القلب.

استفاقت باكراً في اليوم التالي وهي تشعر بالجفاف في حلقها وبارهاق شديد في جسدها. نهضت من السرير واخذت تتفحص قدمها الملتوية وقد زال الألم عنها. تنهدت بارتياح ومشت نحو النافذة التي تطل على الطريق العام والذي لم يزدحم بعد بالسيارات والمارة.

تساءلت اين يكون جوردان الآن؟ وشعرت بالانقباض في قلبها وقد صور لها عقلها بأنه مع هيلينا الآن. وندمت على ما ظنته به وقد كان قد اعترف لها بحبه وليس بحب شقيقتها.

توجهت إلى الغرفة الأخرى في الجناح لتجده نائماً بسلام واطمئنان في السرير. اخذت تنظر إلى ملامح وجهه الجميلة متسائلة إذا كان يشعر بوجودها في هذه الغرفة وهي تنظر اليه بمحبة وعطف؟ انه هنا، هنا وليس مع هيلينا.

وكأنما شعر بوجودها قال لها مبتسما: «ما اجمل هذا الصباح يا زهرة الربيع.»

اجابته بخجل: «لم اود ابداً ان اجعلك تستفيق من نومك.»

«يا لفتاتي الطيبة! والآن دعيني اتأمل محياك الجميل يا زهرة الربيع... آه، نعم، انه رائع وجميل دائماً، هل نمت جيداً؟»

ابتسمت له قائلة: «نعم، لقد استسلمت لنوم هادىء وعميق.»

«يسعدني سماع ذلك. واحبك احبك حباً كبيراً.»

فتمتمت له وكان قلبها الذي يتكلم لا لسانها: «احبك... احبك يا جوردان. ما اعذب صوتك عندما تعلن عن حبك لي. لحسن الحظ... فلا تخسر هذا الحب يا جوردان.»

«لن يكون هذا ابداً. لن اخسرك يا زهرة الربيع وسوف

تكونين لي إلى الأبد. والآن عودي إلى غرفتك ونامي يا عزيزتي، فالوقت ما زال باكراً.»

عندما استفاقت فران من نومها كانت الشمس الدافئة ترسل خيوطها الذهبية إلى الغرفة. نهضت بسرعة وخرجت من الغرفة لتراه في غرفة الجلوس ينتظرها. فبادرها قائلا: «اتريدين القهوة يا عزيزتي؟»

تمتمت بسعادة ملأت قلبها وكيانها: «نعم، ارغب ببعض منها.»

جلست على الكنبة حالمة، وكأنما مازالت لا تصدق ان جوردان يحبها، فهل هي في حلم ام في يقظة، ام ان عقلها يصور لها ماترى؟ لكن لا، ان ما جرى ويجري لها لهو الحقيقة بعينها.

وكان جوردان قد خرج في ذلك الوقت فسمعت طرقاً على الباب ومن ثم هيلينا تدخل إليها قائلة وهي في حالة من الثورة الجامحة.: «انك لم تعودي إلى الغرفة ليلة البارحة يا فران، فهل هذا يعني بانك امضيت في جناح جوردان؟»

قالت فران برعب شديد: «هيلينا!»

وكانت هيلينا في حالة لا تحسد عليها من الغضب الشديد وقالت: «ايتها المتسولة الحقيرة!»

اعترضت فران قائلة: «الأمر ليس كما تظنينه يا هيلينا! ولا تنعتيني باسماء كهذه، فأنا لست بالمتسولة الحقيرة، كما وانني احب جوردان وهو يبادلني هذا الحب.»

ضحكت هيلينا بطريقة هيستيرية وقالت: «لا اشك مطلقاً بأنك معجبه به مثلك مثل غيرك من النساء المعجبات به. لكن، ان يحبك هو؟ لا بد انك قد فقدت عقلك.»

www.elromancia.com

«لقد قال...»

صاحت هيلينا بها ساخرة: «قال لك بأنه يحبك؟ حقاً انك لا تملكين ذرة من الذكاء... يا لك من غبية لا تدرك معنى الاستغلال.»

أجابت بحنق وقد تصبب العرق من جبينها: «لم أُستغل ابداً!» انها لم تستغل، لم تستغل! لكن كيف يمكنها ان تثبت لهيلينا بأن جوردان يحبها فعلاً؟

«لقد كنت الوحيدة امامه عندما لم اكن انا موجودة، فأنا اعرف جوردان واعرف اي نوع من النساء يفضل، انت لست من ذلك النوع. الا يمكنك ان تشعري بالضغوطات التي يعاني منها من اجل تحقيق اهدافه من المؤتمر؟ انه بحاجة إلي، وعندما ينتهي المؤتمر ويطمئن باله، سيعود إليّ، وسيتزوج مني!»

صرخت فران بألم: «يتزوج منك؟»

ضحكت هيلينا مرة اخرى ثم قالت: «يا لفران المسكينة، من المؤكد انك لا تدركين هذا الشيء، اليس كذلك؟ ان جوردان رجلاً عملياً ومادياً... فما الذي يمكنك ان تقدمينه له؟ يا لك من غبية لتأخذي كلامه بصدق وجدية. وتذكري أنّ بإمكاني ان اعطيه كل شيء واكثر مما يريد، اما انت فلا.»

«اخرسي يا هيلينا! لن استمع اكثر لكلامك الفارغ، فجوردان وانا...»

«كان يستغلك يا فران ولا شيء اكثر من ذلك، فلولا الحادث الذي اصابني، لكنت انا الوحيدة التي تشاركه هذا الجناح.»

اخذت تنظر إلى هيلينا بحقد وكراهية، بينما كان في داخلها صراع في ان تصدق ما تقوله او ان ترفضه رفضاً

قاطعاً. واخذت تحاول منع تساقط دموع الألم والمرارة وتحاول ان تقنع نفسها بأن هيلينا مخطئة في كلامها. وتمنت لو يأتي جوردان في هذه اللحظة ويطردها من الغرفة، لكنه لم يأتِ. ويبدو ان هيلينا محقة في ما قالته وبأنها فعلاً غبية لتنجرف بعواطفها إليه وتصدق كلامه، وبما انه مع عودة هيلينا إليه، لن يكون بحاجة اليها بعد ذلك.

تكلمت بعد ذلك هيلينا ناصحة شقيقتها بلطف: «اخرجي الآن يا فران وانت تحتفظين بكرامتك وعنفوانك.»

وقفت فران وخرجت من الجناح دون ان تنطق بكلمة واحدة... لكن ليس بكرامتها وعنفوانها. وتركت هيلينا في الجناح وقلبها يعتصر ألماً.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

«لم تنفعك تلك الرحلة التي قمت بها الى باريس يا فران. فقد مضى على عودتك منها ما يقارب الأسبوع، لكنني لم اعد ارى تلك الابتسامة المشرقة التي كنت تتحلين بها قبل سفرك.»

ابتسمت فران بامتنان لمديرها سولي التي يأتي فيها على ذكر رحلتها، وقد تكون ملاحظة لها كي ترمي بتلك الأفكار المقلقة جانباً وتعود إلى حياتها الطبيعية التي كانت تحياها يوماً.

قالت له: «آه، ليس بي شيء، فقط اشعر بانقباض في صدري. هذا كل ما في الأمر. فبعد أن سلّمت تلك الحقيبة إلى مدير هيلينا، تجولت في باريس لبضعة ايام. وفي الحقيقة، تسعدني جداً عودتي الى لندن حيث جذوري الحقيقية.»

اخذ المطعم مع الوقت يعج بالوافدين إليه من كل مكان، فاخذت فران تحدق في وجوههم لترى تلك الابتسامات المزيفة التي يرسمونها على شفاههم. وتساءلت لو انهم يعرفون ما حدث لها في باريس، وكيف انها سرقت بيد فنان مهووس، وكيف انها اتهمت في البداية بانها جاسوسة، وكيف انها وقعت في شباك الحب وكادت ان تحطم شقيقتها هيلينا!

وعادت بالذاكرة إلى اليوم الذي خرجت فيه من فندق

كليرمونت وهي مجروحة الفؤاد وكسيرة الجناح من هول المصيبة التي وقعت على رأسها بعدما قالت لها هيلينا ما قالته. وعندما اصبحت على متن الطائرة، تخيل لها وهي على تلك الحالة الشديدة من الانهيار، ان جوردان يقف في ارض المطار يتوسل اليها كي تعود اليه لأنه لا يستطيع العيش من دونها، فانهمرت دموع الألم والحرقة من عينيها تبكي حباً لم يكتب له الاستمرار في هذه الحياة.

لكن كان بامكانه ان يفعل شيئاً لتجنب ذلك، كان بامكانه ان يأتي الى غرفتها بينما كانت تحزم امتعتها استعداداً للسفر، حتى وبعد عودتها إلى بريطانيا، كان بامكانه ان يتصل بها هاتفياً ليقول لها ان هيلينا كانت مخطئة بكل الذي قالته وانه لا يحب ولن يحب فتاة سواها. لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك. وقد كان صمته تأكيداً وبرهاناً قاطعاً بأن هيلينا كانت على حق في كل ما قالته لها. نعم، لقد احتاج إلى خدماتها واستغلها في الوقت الذي كانت شقيقتها طريحة الفراش في المستشفى، وعندما عادت تلك الشقيقة اليه، تركها واستغنى عن خدماتها بأسوأ الطرق. ولم تكن كلمات الحب التي اسمعها اياها، سوى اكاذيب ملفقة، وكل ذلك لأجل مصالحه الشخصية. لقد ذُلت وحُقّرت من جانب جوردان ومن هيلينا أيضاً، وانهانت أكثر من ذلك، عندما اضطرت لتأخذ منها بعض المال لكي تتمكن من الوصول إلى المطار.

انتشلها فجأة من أفكارها زميل لها في العمل قائلاً لها: «كوبان من عصير البرتقال يا فران. ابتهجي يا عزيزتي، انك تبدين في حالة يأس شديدة.»

أجبرت فران نفسها على الابتسام لماتيوس وأسرعت

تسكب كوبين من عصير البرتقال، وتذكرت جوردان عندما أخطأ معها في أول لقاء بينهما وأحضر لها عصيراً آخر غير الذي طلبته.

اقترب ماتيوس منها قائلاً: «ما رأيك بمرافقتي لنسهر معاً هذه الليلة بعد ان ننتهي من عملنا؟ هذه السهرة ستقام في منزل أنابيلا وستكون الشلة نفسها هناك أيضاً... انني فعلاً أودّ وأرغب في حضورك معي.»

المنطق يفرض عليها ان توافق على دعوته لها، فقد تجد في هذه السهرة عزاءً لقلبها الكسير، وان ترمي بنفسها بين أحضان تلك الشلة التي كانت تمضي معها أسعد الأوقات في ما مضى. ان ماتيوس شاب لطيف ومهذب ولكنه ليس كجوردان، وقلب فران لا يهتف ولا يتألم إلا لجوردان.

ابتسمت فران بعذوبة ثم قالت: «آسفة يا مات، كنت قد قررت ان أغسل شعري هذه الليلة.»

ضحك قائلاً وقد اعتاد على أعذارها: «ما به شعرك السخيف؟ ألا يمكنك ان تغسليه في وقت آخر؟» ثم تركها لآلامها وشجونها.

كانت آلام وشجون مبرحة، لم يصب فران شيء مثلها قبلاً. انها عذابات تضنيها وتفتك بقلبها الذي مع كل نبضة من نبضاته يتلفظ باسم جوردان الممعن في البعاد، وتحاول جاهدة ان تبعد طيفه عن مخيلتها، لكن عبثاً فعلت، فلقد بقي طيفه يلاحقها ويقضي مضجعها. وكانت في كل مرة تدخل معرض الرسم الذي تعمل فيه، تتذكره وتتذكر كيف رافقته إلى معرض دلفين الذي يخصّ ستيلا. تذكرت أيضاً كيف كان يناديها باسم زهرة الربيع، ان لهيلينا حوض كبير

يمتلىء بهذه الزهرة، فهل كان يناديها بهذا الاسم أيضاً يا ترى؟ لكن من المؤكد لا، انه يناديها بأسماء أبهى وأجمل من زهرة الربيع.

كانت من عادة فران، عندما يحين موعد اقفال المطعم، أن تساعد سولي في ترتيبه، ثم تغادر معه في سيارته. فقد كان دائماً يوصلها إلى بيتها مع ان وجهته غير وجهتها، فسولي والد لثلاث بنات، وكان يعتبرها مثل بناته اللواتي لا يسمح لهن ان يعدن بمفردهن إلى البيت في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

قال لها وهما ينطلقان في شارع كينغز رود: «يا ليتك ذهبت مع ماتيوس لتشاركي في تلك الحفلة.»

قالت بسخرية: «وهل تعتقد انني خسرت شيئاً لرفضي دعوته؟»

«لا اعتقد، انما كان من الأفضل لك لو قبلت دعوته، فماتيوس شاب مهذب يعاملك بلطف ورقة، وليس مثل ذلك الذي حطّم قلبك في باريس.»

أخفضت فران نظرها والألم يعتصر قلبها وقد تشابكت أصابع يديها ببعضها البعض. انها لم تخبره كثيراً عن رحلتها المؤلمة إلى باريس، انما سولي أدرك ذلك بنفسه لسعة اطلاعه وخبرته في هذه الحياة.

فتمتمت: «وهل يبدو عليّ ذلك؟»

«نعم، فوجهك شاحب اللون ينطق بالألم وعيناك تموجان بالدموع الثخينة.»

ضحكت فران قائلة: «انك تبالغ في وصفك لي يا سولي. فانا لا أبدو سيئة إلى هذه الدرجة. أليس كذلك؟»

«بل تبدين أكثر بكثير من الذي وصفتك به.» ثم تابع ممازحاً: «أنصحك بان ترتدي قميص النوم بالمقلوب، يُقال ان هذا يساعد جداً في حالات مثل حالاتك.»

قالت ضاحكة: «هه، وكما ان هذه الوصفة لا تكلف شيئاً.»

ضحكا معاً ثم ظهر على وجه سولي الطيب، الجدية والاهتمام عندما قال: «إن كان هناك ما يمكنني ان أفعله لأجلك يا فران، فانا على أتمّ الاستعداد لمساعدتك.» ثم أوقف سيارته أمام شقة هيلينا وتابع يقول: «فإذا رغبت بالتكلم، فكلي آذان صاغية لك وأرجوك ألاّ تترددي في ذلك.»

كادت الدموع أن تنهمر من عيني فران، لكنها استطاعت ان تتغلب وتمنعها من التساقط فالتفتت إليه قائلة: «ربما أكلمك في هذا الشأن في يوم من الأيام، أما الآن فالأمر ما زال مؤلماً وموجعاً... على أية حال، شكراً لعاطفتك النبيلة تجاهي يا سولي.» خرجت من السيارة ووقفت تلوّح له بيدها مودعة.

سمعت بعد ذلك صوتاً يقول من ورائها: «رجعت إلى ألاعيبك القديمة؟»

استدارت فران مجفلة لترى جوردان ينزل على الدرجات القليلة، ولاحظت فوراً كم انه تغيّر في أسبوع واحد. لقد كان يبدو ضعيفاً شاحب الوجه، وكانت عيناه الرماديتان تحيط بهما خطوط من الألم والحزن. لكن من المؤكد ما يبدو عليه من ارهاق لا دخل لها فيه. فقد قرأت في الصحف اليومية بأن شركة باري للأدوية تتابع بحثها واجتماعاتها في شيكاغو مع شركة ليونيمات.

سألته وقد أدركت انه شاهدها وهي تخرج من سيارة سولي: «ماذا تقصد بذلك؟»

ووقف إلى جانبها على الرصيف وقال: «انه أكبر منك سناً، أليس كذلك؟ واعتقد ان جان كلود كان مناسباً لك أكثر.»

قالت له: «ان سولي هو رئيس عملي.» ثم توجهت إليه بأدب وكأنهما غريبان: «هل توفقت برحلتك؟»

«جداً، ولقد عدت هذا المساء، وها انني قد أوصلت هيلينا من المطار إلى شقتها.»

«نعم، نعم، وهل يمكنك ان تفعل غير ذلك؟» ثم هزت بكتفيها غير مبالية. وهمّت بالمسير قائلة: «عمت مساءً إذاً.»

وقف أمامها وسد عليها الطريق قائلاً: «أهذا كل ما يمكنك ان تقوليه لي؟ حسناً، عمت مساءً، إن كان هذا ما تريدينه. لكنك أنت التي خرجت من حياتي وبكل بساطة دون أن تعطيني تفسيراً واحداً لذلك.»

«وهل كان هذا ضرورياً؟» قالت ذلك بحدة بينما كان الألم يعتصر قلبها، وتساءلت كيف يمكنه أن يقول ذلك وهو على أهبة الاستعداد للزواج من شقيقتها؟ ثم تابعت قائلة: «على أية حال، أعرف تماماً متى يكون لا حاجة لي.»

ردد كلامها قائلاً: «لا حاجة لك؟»

نظرت إليه بتحدٍ ثم اقتربت منه قائلة: «لقد عادت هيلينا... فما حاجتك إلى مساعدتي أكثر من ذلك؟»

أجابها بغضب شديد: «أحتاج إليك بقوة.»

«نعم، يمكنني أن أتصوّر ذلك.» أجابته وأسرعت تصعد

السلالم القليلة وبيد مرتجفة أدخلت المفتاح في القفل، ولكن الباب فتح قبل أن تدير المفتاح. ووجدت هيلينا تقف مبتسمة وقد صوّبت نظرها إلى جوردان قائلة: «لقد نسيت حقيبتك يا جوردان.»

استغلت فران تلك الفرصة وأسرعت تدخل إلى الشقة وإلى غرفتها رأساً، ثم أقفلت الباب بعنف لتستند إليه وبداخلها اضطراب وألم مضنٍ.

نادتها هيلينا بعد ذلك قائلة: «فران! لقد حضّرت القهوة، فتعالي نشربها سوية، فمن الضروري ان نتباحث ببعض الأمور.»

انضمت فران إليها لا شعورياً في غرفة الجلوس ذات السقف العالي. لم تكن بالغرفة المريحة التي توحي للمرء بالسكينة والالفة، بل كانت باردة، لا تبهج النفس. وقد فرشت بأثاث عادي غير مريح للنظر، فشعرت فران بكره شديد لهذه الغرفة وللشقة بأكملها أكثر من أية مرة أخرى.

تكلمت هيلينا دون مقدمات قائلة: «فران، اعتقد وفي ظل ظروفي الخاصة، انه من الأجدر بك ان تجدي شقة أخرى لتسكني فيها.»

تناولت فران فنجان القهوة الذي قدمته لها هيلينا وقالت بهدوء: «لقد سبق وفكرت بهذا الأمر، وعثرت على شقة سأجعلها محترفي الفني في نفس الوقت، ولكنه لا يمكنني ان أشغلها إلا في نهاية هذا الشهر. فأخشى ان أقول لك بأنك ستضطرين إلى استضافتي لبضعة أيام أخرى.»

وبالفعل، كان هذا الأمر من احدى الأولويات التي قامت بها بعد عودتها من فرنسا. كان ايجار الشقة هذه مرتفع

قليلاً، ولكنها فرصتها الوحيدة لتكون بعيدة عن جوردان وهيلينا.

قالت هيلينا عند ذلك كلاماً أدهش فران: «يمكنني مساعدتك بتكاليف الانتقال.»

نظرت إلى هيلينا التي كانت تجلس على ذلك المقعد الطويل باسترخاء وتكاسل، وأمعنت النظر فيها أكثر، ودهشت لرؤية خطوط التعب والارهاق تحيط حول عينيها البنيتين. ولأول مرة لم يظهر على هيلينا النشاط والحيوية، ولكن وبالرغم من كل ذلك الارهاق والتعب، كانت تبدو أصغر سناً مما هي عليه.

حوّلت فران نظراتها عن شقيقتها وقد شعرت بالكره لها لأنها على وشك ان تتزوج الرجل الذي لن يميل قلبها إلى أحد سواه أبداً. ولكنها تراجعت عن كرهها لها، ليحل محله الأسف عليها... لأن من يحب رجلاً مميزاً مثل جوردان باري ليس بالأمر السهل، ولكن كيف يمكن لأحدٍ ما أن يشعر بالأسف تجاه امرأة مثل هيلينا؟ ثم إن عليها ان تتأسف على نفسها لأنها هي التي خسرت كل ذلك الحب.

وضعت فران فنجان القهوة على الطاولة وقالت: «سأذهب إلى النوم الآن.»

وعندما وصلت إلى باب غرفتها، سمعت هيلينا تقول لها وكأنما تطعنها بسكين حاد في قلبها: «لقد فعلت حسناً يا فران بتخليك عن كل ذلك قبل فوات الاوان. أتمنى لو انني أملك الشجاعة الكافية لأقوم بنفس الشيء.»

لم يكن من الضروري ان تستوضح من هيلينا ماذا كانت تقصد بكلامها.

www.elromancia.com

وفران لم تعرف طعماً للنوم لأنها كانت تفكر بما قالته شقيقتها. كما ان هيلينا لم تكن تبدو عليها السعادة لفوزها بجوردان واستعادته إليها. لا بل كانت تبدو عليها التعاسة والندم وكأنها خارجة من معركة لم تكن أهلاً للخوض فيها. وكانت فران متأكدة ومقتنعة بأن هيلينا وجوردان سيتزوجان، إذاً لمَ كل هذه التعاسة التي تبدو على هيلينا يا ترى؟ وتجدد شيء من الأمل في داخل فران بأنه يحبها هي ولا يحب شقيقتها.

أخذت تتقلب في سريرها وهي في حالة شديدة من الحيرة والارتباك، فإن كان جوردان لا يزال يحبها، لماذا لم يمنعها من مغادرة باريس، أو ان يتصل بها؟ ودفنت رأسها بالوسادة وقد اقتنعت بأن جوردان لا يحب سوى هيلينا فقط، ثم أخذت تبكي بكاءً مراً يفتت القلوب.

كان ذلك في اليوم التالي لانتقالها إلى شقتها الجديدة، حيث التقطت عينا فران خبراً هاماً يتصدر الصحيفة اليومية، وهو ان شركة باري تمكنت بنجاح شراء كافة أسهم شركة ليونيمات.

أخذت فران معها تلك الصحيفة إلى معرض الرسم لتقرأ بالتفصيل ما جاء في الجريدة حول ذلك النجاح الذي حققه جوردان.

وقد كتب في الجريدة الكثير عن جوردان وكانت فران تلتهم سطورها وفي قلبها غصة وألم، وكلها تمدح بالانجاز العظيم الذي قام به. أحست فران بحاجتها إلى البكاء ولذرف الدموع التي أخذت تملأ عينيها. ومما جاء في الصحيفة: ان الدكتور جوردان باري الذي أخذ

على عهدته تسلم زمام الأمور في شركة باري للأدوية بعد ان أقعد المرض والده روبرت باري وتوفي بعد ذلك بعدة سنوات، كان يريد ان يرفع بالشركة إلى أعلى المستويات، فاكتشف ذلك الدواء الذي حقق به نجاحاً وشهرة بالغة.

وتابعت فران تقرأ عن الدواء الجديد الذي أنجزته الشركة والذي كانت قد أوصلت اسطواناته ووثائقه لجوردان في باريس، والذي كان جوردان قد أمّن بملايينه عليه في شركة التأمين، انها لم تحصل على شيء من كل ذلك سوى آلام مبرحة تثقل على قلبها الجريح.

وتذكرت كيف وصفته بأنه خال من الشعور وأنه لا يمت بالانسانية بصلة، فكيف تمكنت من وصفه على هذه الصورة؟ وحتى تصرفه السلبي تجاه جان كلود، كان منطقياً وصحيحاً. ولكنها لم تتفهم أبعاده وما يقصده وأضافت على ضغوطاته وقلقه على عمله، ضغوطات أخرى كان بغنى عنها في الوقت العصيب الذي كان يمرّ به. لكن الذي لا يمكنها أن تسامحه فيه، هو انه جعلها تقع في شباك حبه.

تنهدت فران بعمق، فالذنب ليس ذنبه، انه لم يجبرها على حبه، والملام الوحيد في هذا الأمر هي نفسها. لأنها كانت تعرف مسبقاً بأنه من المستحيل أن يكون لها.

نشلها من أفكارها، صوت الأجراس الصغيرة التي تقرع كلما دخل أو خرج أحد من المعرض ومنه، فتركت مكانها وتوجهت إلى الصالة.

صرخت عند ذلك بدهشة: «سيلاس! آه، سيلاس...» ثم

تسارعت نبضات قلبها بخوف شديد وتابعت قائلة: «ليس هناك من مكروه، أليس كذلك؟ وهل جوردان بخير؟»

أخذ سيلاس يضحك عالياً ثم قال: «ما بك؟ لا شيء مما ذكرته أبداً، انما في كلماتك موسيقى تبهج القلب وتدلّ على انك تهتمين.» ثم نظر إلى ساعة يده وتابع يقول: «هل الوقت ما زال باكراً لنتناول طعام الغداء معاً؟ فأنا أرغب بدعوتك.»

ضحكت فران قائلة: «انها ما زالت الساعة الحادية عشرة والنصف! كنت أتناول فنجاناً من القهوة، فهل تريد بعضاً منها؟» وتساءلت عن سبب مجيئه إليها، صحيح انه في باريس كانت قد توطدت بينهما صداقة أخوية، ولكنها لم تكن تتوقع أن تستمر في لندن خاصة بعد ذلك المؤتمر الطبي.

نظر في ما حوله ثم قال: «إن لم يكن من مانع، أريد ان أتكلم معك على انفراد دون أن يقاطعنا أحد... فهل أنت بمفردك هنا؟»

«نعم، فسولي رئيس عملي قد ذهب ليحضر مزاداً علنياً ولن يعود قبل بعد الظهر. سأقفل باب المعرض لبعض الوقت.»

«قد يفوت عليك فرصة للبيع.»

أجابته فران مبتسمة: «وقد لا يفوت.»

قدمت فران له القهوة وجلست مواجهة له وتكلما بأمور لا معنى لها في البداية، إلى ان تنهد سيلاس أخيراً ليقول: «لم أكن مضطراً للقيام بشيء مثل هذا قبل اليوم.»

سألت فران باضطراب: «مثل ماذا؟» لا بدّ وان الأمر يتعلق بجوردان، فليس من سبب آخر يدعوه للمجيء إليها غير ذلك.

«لن اسمح باستمرار هذه الحالة يا فران، أو ان لا آتي بحركة أمام شخصين عنيدين يعانيان من غباوتهما.» ثم مال نحوها قليلاً وأمسك بيدها ليتابع قائلاً: «لا تتصوري الحالة المؤسفة التي وصل إليها بعدما تركت فرنسا.»

أخذت فران تنظر إليه دون أن يطرف لها جفن ثم قالت: «هل كانت حالته مؤسفة لدرجة أنه لم يحاول الاتصال بي مرة منذ حينها.»

«لقد كنتِ أنت من خرج من حياته أولاً يا فران، فكيف تتوقعين أن يتصرف أو يفكر حيال ذلك؟»

هزت فران كتفيها غير مبالية ثم قالت: «لا يهمني ما يفكر به يا سيلاس.» ثم اغرورقت عيناها بالدموع وتابعت تقول بحرقة: «حبي الشديد له دفعني لأن أهرب منه، فأنا لا أعني شيئاً لجوردان. على أية حال، أشكرك لأنك تحاول أن تصلح الخطأ وسوء التفاهم بيننا، ولكن الأمر بات مستحيلاً الآن.» ثم أجبرت نفسها على الابتسام بالرغم مما كان يجيش في صدرها من ألم وتابعت تقول: «لا يمكنني ان أنافس شقيقتي عليه، كما انه لا يحق لي ذلك أبداً. وكان عليك ان تتفهم الوضع أكثر قبل ان تكلف نفسك بالمجيء إلي يا سيلاس، فجوردان وهيلينا سيتزوجان قريباً.»

لم تبدُ عليه علامات الدهشة مما قالته، بل قال لها: «آه، لقد أدركت الوضع جيداً قبل مجيئي إليك، وأعرف ماذا تقصدين، ولكنني أقول لك انك مخطئة في اعتقادك هذا، فلن يكون هناك أي زواج بينهما. فيا لهيلينا المسكينة، انها مقتنعة كل الاقتناع بأنها ستكون الزوجة التي ستحمل اسم عائلة باري.» ثم نظر في وجهها متأملاً وتابع يقول: «فكري

بالأمر جيداً يا فران، فكري بجوردان، وفكري بي أيضاً، كيف انني لاحقتك في شوارع باريس لأن جوردان كان في غاية القلق عليك. وفكري بالذي قام به تجاه صديقك...»

قاطعته فران قائلة: «جان كلود؟ ماذا تعني؟»

تنهد سيلاس وقال: «أما عرفت؟ كان ينبغي على هيلينا ان تطلعك على ذلك. ربما لم تفعل، لأن الأمر سيؤلمها جداً وقد تكون أدركت انه لم يعد لها أي أمل...»

صرخت فران: «سيلاس! انك تكلمني بالألغاز، فأفصح عن كلامك من فضلك.»

ابتسم قائلاً: «آسف للارتباك الذي أسببه لك... ففي ذلك اليوم الذي سافرت فيه، اتصل جوردان بستيلا لتحدّد له موعداً مع صديقك الفنان ليقدم له عرضاً، يدخله فيه إلى مستشفى خاص تتم فيه معالجته ليتخلص من ذلك الإدمان الذي سيقضي على حياته.»

توتر صوتها وقالت بضعف: «سيلاس...»

«انها مؤسسة خاصة يا فران، وكان قد وافق صديقك على هذا العرض فوراً، وهو الآن هناك وقد أحرز تقدماً ملموساً. لقد قام جوردان بذلك لأجلك، وأنت تعتقدين انه لا يهتم بك.»

أخذت فران تمسح الدموع المنهمرة على خديها، ثم قالت: «لم أعرف بذلك يا سيلاس، فهيلينا لم تكلمني كلمة واحدة بهذا الخصوص. آه يا سيلاس، لقد قام جوردان بعمل رائع يشكر عليه... لكن، لكن ماذا كنت تعني عندما قلت إن هيلينا قد أدركت انه لا أمل لها بشيء؟»

«لقد انجذبت هيلينا إلى جوردان منذ اللحظة الأولى التي

التحقت فيها بالشركة وذلك منذ سنة مضت. انها سكرتيرة ممتازة ومن أفضل السكرتيرات اللواتي عملن في الشركة. وكان جوردان يكافئها دائماً ويثني على جهودها الخيّرة والعائدة على الشركة. فاعتقدت المسكينة بأنه مع الوقت سيحبها وبالتالي سيتزوج منها. لكن جوردان لم يكن يشعر بشيء من هذا تجاهها... لأنه كان يعيش فقط لأجل عمله. وكانت هيلينا تعتقد انه متى انتهى من ذلك الضغط الشديد في عمله، سيحوّل اهتمامه إليها. لكن وعندما شاءت الصدف ان تكوني أنتِ في باريس مكانها، لاحظت كم تألم وتأثر بعدما هجرته، وهذا ما جعل هيلينا تدرك بأنها فقدت كل أمل في الاستيلاء على قلبه. كما انها وبعد باريس، كانت تلاحظ حزنه ينمو ويكبر يوماً بعد يوم، واشتدّ بها الألم واليأس من ذلك إلى انها لم تعد تحتمل أكثر، فأسرعت تطلعني على كل شيء، كيف كانت تشعر تجاه جوردان وكم تشعر بالأسف لما قالته لك أخيراً.»

في البداية لم تستطع فران ان تعلق بكلمة واحدة على ما قاله سيلاس، فوقفت ببطء وهي تشعر بشعورين متناقضين تماماً، شعورها بالسعادة العامرة من أن جوردان فعلاً يحبها ويحبها وحدها، وشعورها بالأسف والألم تجاه شقيقتها التي خاب أملها.

قال سيلاس فجأة: «ساعديها يا فران، انها تشعر بالخيبة والانهيار... ساعديها وحاولي ان تسامحيها لما بدر منها تجاهك.»

«انك تهتم لأمر شقيقتي، أليس كذلك؟» وشكرت فران الحظ لوجود سيلاس ليخفف عن هيلينا بعضاً من آلامها.

قال سيلاس بهدوء: «لقد أحببتها في نفس الوقت الذي أحبّت فيه جوردان.»

قالت فران باهتمام ظاهر: «آه يا سيلاس، ماذا عساك تفعل الآن؟»

أجابها وقد لمع في عينيه بريق من الأمل وهو يقول: «لن أستسلم أبداً. فهي تحتاج إلى صديق في هذا الوقت العصيب وساكون لها نعم الصديق.»

بعد ان غادر سيلاس المعرض، أخذت فران تروح وتجيء في صالة العرض وهي لا تدري كيف تتصرف بمشاعرها، كانت أحياناً تريد ان تبكي وتضحك بسعادة بعدما أوضح لها سيلاس حقيقة مشاعر جوردان تجاهها، لكنه لم يمنحها الطريقة المناسبة لاعادة الأمور إلى مكانها الطبيعي. فهل تتصل بجوردان وتخبره عن مدى حبها الشديد له وتطلب منه السماح لما بدر منها؟ لأنها هي التي أخطأت بحقه عندما لم تثق به ولا بكلامه، وصدقت ما تفوّهت به شقيقتها، لكن يجب وقبل أي شيء آخر، ان تكلم هيلينا.

وفي تلك الليلة، سمحت لنفسها بالدخول إلى شقة هيلينا وكانت ما تزال تحتفظ بمفتاحها. كانت هيلينا في تلك الأثناء تتحدث على الهاتف، فالتفتت نحو المدخل عندما فتحت فران الباب.

انتظرت فران في غرفة الجلوس، وهي لا تدري كيف تبتدىء بالكلام، لكنها كانت تعلم انه من غير المعقول ان تستمر المشاكل بينهما على هذا الشكل، فهما شقيقتان، وعليهما أن تكونا صديقتين.

«فران.»

«هيلينا.»

نطقت كل واحدة منهما باسم الأخرى في الوقت نفسه، ثم خيّم عليهما صمت طويل، تقدمت فران أولاً باتجاه هيلينا وأمسكت يديها الاثنتين، لكنهما كانتا باردتين وترتجفان قليلاً. فرفعت هيلينا رأسها عالياً باعتزاز كعادتها، ولكنها لم تكن تضع شيئاً من المساحيق التجميلية على وجهها، وكان شعرها غير مرتب، انها بالمختصر المفيد ليست هيلينا التي تعرفها فران بكامل أناقتها وجمالها. وقد بدت ضعيفة وشاحبة اللون وكانها أضاعت كل قواها. فجأة، صرخت فران وأخذت شقيقتها بين ذراعيها.

«آه يا هيلينا، لم أدرك... لم اقصد... أرجوك أن تسامحيني.»

وكانت فران تطلب السماح منها، في الوقت الذي كان قلبها يقطر دماً عليها.

«فران، لقد كنت قاسية وسيئة معك، فهل ستسامحينني يوماً؟»

ثم جلستا على كنبة وهما تتعانقان بمحبة ولهفة.

بادرتها هيلينا قائلة: «لقد شعرت بشيء غريب في داخلي عندما دخلت جناح جوردان ورأيتك فيه. وكان وجهك يشعّ اشراقاً ونضارة وحباً.»

أخذت فران تحدق بالنار المتأججة في المدفأة وتساءلت كيف انها لم تشعر بتلك النضارة والاشراق وكان قد أعلن لها عن حبه.

«أفهم يا هيلينا ما الذي دفعك لتتصرفي على هذا النحو، ربما كنت قد تصرفت بنفس الشيء لو حدث ذلك معي.»

هزّت هيلينا برأسها تنفي قول شقيقتها وهي تقول: «لا، لست أنت من يفعل ذلك يا فران، فلطالما كنت أشعر بالغيرة منك وكنت تبادلينني ذلك باللطف والمحبة.»

طأطأت فران برأسها موافقة: «لقد أخبرني والدي بذلك منذ سنوات بعيدة. ولم استطع أن أقوم بشيء حيال ذلك، لأنني كنت ما زلت صغيرة السن. ولكنني وعندما أصبحت ناضجة، وضعت الملامة عليهما لتحوّلهما إليّ وتجاهلهما لك، واستطعت ان المس الأذى الذي ألحقاه بك، لكن من المؤكد انهما لم يكونا يقصدان ذلك. يسعدني جداً اننا نتكلم الآن مع بعضنا، فلم يبق من عائلتنا سوانا.»

تنهدت هيلينا قائلة: «أمامنا العمر كله لنعوّض عما فاتنا يا فران. انني شقيقتك الأكبر سناً والتي من المفترض منها أن تكون أكثر نضجاً، ولكنني لم أتصرف كذلك في ما يختصّ بجوردان، أليس كذلك؟ على أية حال، لقد انتهى كل شيء الآن وباءت محاولاتي معه بالفشل، لأنك اعطيته شيئاً لم استطع أنا أن أعطيه له. لقد جعلته يشعر بالحياة الجميلة، وعندما هجرته بدا كالشمعة التي تحترق وتذوب على مهل لتنطفىء بعد ذلك نهائياً. ولم أعرف كيف سارت الأمور معه في لقاءاته في شيكاغو، لأنه لم يكلّم أحداً بذلك. ولكنني سررت من سيلاس الذي يهبّ دائماً لمساعدة الجميع وكان قد تكلم معي بعقلانية وجعلني أدرك وأفهم انك وجوردان تحبان بعضكما البعض.»

تمتمت فران: «ان سيلاس يهتم بك كثيراً.»

تنهدت هيلينا ثم قالت: «أعرف ذلك، كما انني أنا أيضاً أهتم به. لكن المؤسف في هذا الأمر انني لم أكن أشعر

باهتمامه بي، ربما وبطريقة ما قد يمكنني ان أعوّض عليه ذلك، فالوقت مناسب الآن لي ولسيلاس.» توقفت عن الكلام لتنظر إلى الساعة القديمة المعلقة على الحائط ثم تابعت قائلة: «من الأفضل ان تذهبي الآن يا فران.» وضحكت عندما قرأت الدهشة في وجه فران وقالت: «لا، انني لا أطردك، ولكن يجب ان تعودي إلى شقتك لأن هناك زائراً سيصل إليك قريباً.» وقفتا معاً، فاحتضنت هيلينا شقيقتها ثم تابعت قائلة: «لقد اتصلت بجوردان قبل مجيئك بقليل لأخبره بالحقيقة وبالأشياء القاسية التي قلتها لك. ولقد عرف الآن السبب الذي دفعك إلى مغادرة باريس بهذه السرعة.»

سألتها فران بدهشة: «وهل كان لديك الشجاعة الكافية لتقومي بذلك؟»

ضحكت هيلينا قائلة: «عمل جنوني، أليس كذلك؟ ولكنني في الحقيقة كنت أخشى مواجهتك أنت أكثر من مواجهة رئيس عملي. انه يريد رؤيتك يا فران، لذا اعطيته عنوانك الجديد.»

صرخت فران وعيناها تشعان بالسعادة: «انه آتٍ إلى شقتي!»

ضحكت هيلينا قائلة: «لا تقولي لي بأنك تركت الشقة بأبشع صورة من الفوضى هذا الصباح.»

«آه، لا يهمني هذا الأمر. آه يا هيلينا، ما الذي بوسعي أن أقوله حيال ذلك؟ لقد خرجت من حياته فجأة... ولم أثق به...»

قالت هيلينا مهوّنة عليها الأمر: «اهدأي الآن، وكوني طبيعية كما أنت، وستجري الأمور على أحسن ما يرام.»

فكرت فران عندما وصلت إلى باب شقتها بأن الأمور لن تجري على أحسن ما يرام، بل ستجري على عكس ما قالته هيلينا، لأنها كانت تتوقع ان تراه عند باب شقتها ينتظرها بلهفة وشوق. دخلت الشقة وأخذت تروح وتجيء فيها بعصبية تدخل الحمام وتخرج منه إلى الغرفة ومن ثم إلى المطبخ وهكذا دواليك، إلى ان سمعت طرقاً على الباب كادت من صوته ان تسقط على الأرض مغشياً عليها لشدة فرحتها.

ورأته رائعاً في وقفته عند الباب، بقامته الطويلة، يرتدي كنزة صوفية وسترة من الجلد الفاخر. وقرأت في عينيه الرماديتين التعب والارهاق والألم، وكان يحمل في يده رزمة.

دعته فران إلى الدخول دون ان تتفوه بكلمة واحدة.

فبادرها هو بالكلام قائلاً: «كم أحبك يا زهرة الربيع.»

«جوردان، لدي الكثير من الكلام لأقوله لك...»

ترددت ثم قالت له: «أحبك لدرجة ان قلبي يتألم من حبك. آسفة يا جوردان، آسفة جداً لأنني لم أثق بك...»

«لا تعتذري يا فران، ويتوجب على هيلينا أن...»

قاطعته فران متوسلة: «لا تغضب منها يا جوردان، فالغيرة أعمت قلبها ولم تكن تدري بماذا تقوله أو تفعله. لقد أحبتك، ألا تشعر بذلك و...»

قاطعها جوردان بمرارة: «كادت ان تقضي علينا.»

«هل تعتقد ذلك؟ لا أعتقد انه كان بامكانها ان تقضي علينا، لأننا بطريقة أو بأخرى كنا سنعود إلى بعضنا عاجلاً أم آجلاً، فالحب الكبير الذي يجمعنا لا يمكن ان تفرقه كذبة.»

ضحك عند ذلك قائلاً: «يا لك من فتاة رومانسية يا صغيرتي.»

«نعم، فأنا ما زلت أحلم بالزفاف الأبيض.» أشارت له بخبث.

«أعتقد ان حلمك الرائع سيتحقق يا عزيزتي، ولكن انتظري لحظة.» وعاد إلى الباب حيث ترك تلك الرزمة التي كان يحملها وتابع قائلاً: «أحضرت هذه لك، أو بالأحرى لنا معاً.»

فتحت فران الرزمة وصاحت ببهجة عندما وجدت في داخلها تلك اللوحة التي أعجبت بها في معرض ستيلا: «آه يا جوردان! كم أحب هذه اللوحة... وكم أحبك.»

«لقد اشتريتها في تلك الليلة التي طلبت منك الزواج فيها لأول مرة.»

فقالت له ضاحكة: «طلبت الزواج مني لأول مرة؟»

«طلبت منك الزواج في الليلة الأولى من لقائنا، وكنا قد تناولنا العشاء في ذلك المطعم قرب النهر، وزرنا بعد ذلك معرض ستيلا. لكنك لم تسمعيني لأنك كنت تصرخين وتلقين علي أبشع الألفاظ بعد ان أوصلتك إلى الفندق.»

ضحكت فران ثم قالت: «لا أصدقك!»

«انها الحقيقة، ولكنني غيّرت رأيي في صباح اليوم التالي.»

«صحيح؟»

«لقد تهيأ لي بأنني أصبت بالجنون، ولهذا السبب أردتك ان تسافري، ففي تلك الليلة شعرت بعاطفة كبيرة نحوك، عاطفة لم أشعر بها من قبل. وأحببتك رغم جنونك، لكن

الغيرة أعمتني عندما عرفت بأن لك صديقاً قديماً في باريس.»

«ولكنني أخبرتك بأنه ما من شيء يربطني به وبأنني غير عازمة على إعادة صداقتي معه.»

جذبها نحوه قائلاً: «أنا مثلك يا فران، فكما لم تثقي بكلامي، لم أثق بكلامك، والذنب ليس ذنبنا، فنحن لا نعرف سوى القليل عن بعضنا الآخر، ومن الصعب ان نثق ببعضنا سريعاً.»

رفعت رأسها لتنظر إليه باهتمام قائلة: «أنت محق يا جوردان. فقد حدث كل ذلك بسرعة. ومن أين لنا أن نعرف الآن ان الأمور ستجري بشكل جيد؟ أعني، منذ متى نعرف بعضنا البعض؟ فهل تكفي بضعة أيام لنتأكد من أنفسنا؟»

«انني متأكد يا فران، فالذي مررت به في الأسابيع المنصرمة من معاناة وعذاب بسبب بعدك عني يؤكد اننا نحب بعضنا. فعندما خرجت من تلك الاجتماعات في شيكاغو وعدت إلى لندن، كان همي الوحيد ان اعرف لماذا خرجت من حياتي.»

همست قائلة وقد آلمها ما سببته له من ألم: «لماذا لم تتصل بي يا جوردان؟»

«الخوف منعني عن ذلك. ولم أكن أعلم في ذلك الوقت بتلك الكلمات القاسية التي قالتها لك هيلينا. كنت أخشى ان اصطدم بالحقيقة وبأن ما كان بيننا قد انتهى، وبأنك لم تحبيني في يوم من الأيام.»

«ومع ذلك كله، ومع انني غادرت باريس، قمت بمساعدة جان كلود في علاجه.»

«لقد جعلتني أفكر بالأمر باهتمام أكبر يا فران، لأنني قرأت في عينيك العزم والتصميم لفعل أي شيء تجاهه مع انه كان قد سرق اشياءك. وأدركت بعد ذلك بأنك كنت على حق، فلم تكن أفعاله سوى صراخاً مستميتاً لمساعدته، وكان بامكاني تقديم تلك المساعدة... على فكرة أنت لم تجيبي عن سؤالي بعد.»

نظرت إليه بعينين حالمتين قائلة: «وما هو هذا السؤال؟»

«هل تتزوجينني؟»

نظرت إليه بلطف وقالت: «آه يا عزيزي جوردان، نعم، نعم سأتزوجك. فلو سمعت منك ذلك في المرة الأولى، لكنت وافقت على الفور. لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، وكنت في ذلك الوقت تعاني أشد المعاناة من نظارتك الطبية الجديدة، وكنت تعاملني بتلك الثورة المخيفة بينما كنت أنت الذي تحتاج إلى خدماتي وليس أنا.»

«وما زلت بحاجة إليك يا زهرة الربيع... سنزرع مساحات كبيرة من زهرة الربيع في الحديقة وستكون رمز حبنا.»

«عن أية حديقة تتكلم؟»

«لقد اشتريت يا زهرة الربيع بيتاً في الريف. في هيرتفورد شاير.»

«آه، هل حقاً فعلت ذلك يا جوردان؟»

«نعم يا حبيبتي، لكنني أشعر بالخوف يا زهرة الربيع من ان أخسرك مرة أخرى.»

«لا تخشى شيئاً أيها الدكتور جوردان باري، فانا لن

www.elromancia.com

أهرب منك مرة أخرى.» ضحكت من ذلك ثم تابعت قائلة: «أين اشتريت ذلك البيت؟ في هيرتفورد شاير. آه لا اعتقد... لا، فأنا لم أذهب ولا مرة...»

قاطعها قائلاً: «اسكتي يا فران.»

تمـــت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة